بداية جديدة وأمل جديد

جمع وترتيب

من خطب ومحاضرات فضيلة الشيخ

أبي عبد الله محمد بن سعيد رسلان

حفظه الله تعالى

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

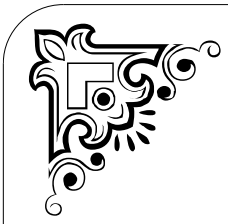

الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ

فَفِي الْأَمَلِ سِرٌّ لَطِيفٌ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ لِأَحَدٍ عَيْشٌ، لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ، وَلَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَهُ أَمَلٌ فِي أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ مَا تَتَغَيَّرُ بِهِ الْأَحْوَالُ، وَتَسْعَدُ بِهِ الْحَيَاةُ.

لَوْ لَا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَمُنَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِتَغْيِيرِ الْأَحْوَالِ مِنَ الصَّعْبِ إِلَىٰ السَّهْلِ، وَمِنَ التَّعْسِيرِ إِلَىٰ التَّيْسِيرِ.

لَوْ لَا هَذَا الْأَمَلُ مَا تَهَنَّىٰ أَحَدٌ بِعَيْشٍ، وَلَا طَابَتْ نَفْسُ إِنْسَانٍ أَنْ يَشْرَعَ فِي عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَغْرِسُ غَرْسًا؛ فَهَذَا الْغَرْسُ لَا يُؤْتِي ثَمَرَتَهُ وَلَا أُكُلَهُ إِلَّا بَعْدَ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ.

لَوْ لَا الْأَمَلُ مَا غَرَسَ إِنْسَانٌ غَرْسًا، وَلَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ عِنْدَمَا يَأْمُلُ أَنْ يَعِيشَ طَوِيلًا، وَيَبْنِي بَيْتًا؛ فَإِنَّهُ بِرَجَاءِ أَنْ يُعَمِّرَ هَذَا الْبَيْتَ، وَأَنْ يَعِيشَ فِيهِ سَنَوَاتٍ طِوَالًا.

لَوْ لَا أَنَّهُ قَدِ ارْتَكَزَ فِي نَفْسِهِ الْأَمَلُ؛ مَا بَنَىٰ أَحَدٌ بَيْتًا، وَمَا غَرَسَ أَحَدٌ غَرْسًا، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ عَمَلًا مِنْ أَعْمَالِ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

فَالْأَمَلُ فِيهِ سِرٌّ لَطِيفٌ، وَمِنْ أَجْلِهِ جَعَلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ هَذِهِ الْحَيَاةَ مَبْنِيَّةً عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الَّذِي يَحْيَا عَلَيْهِ النَّاسُ؛ وَإِلَّا لَتَوَقَّفَتْ مَعَايِشُ النَّاسِ، وَمَا عَمِلَ أَحَدٌ فِي الْحَيَاةِ عَمَلًا.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «حُبُّ الدُّنْيَا وَطُولُ الْأَمَلِ» - الثُّلَاثَاءُ ٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٦هـ| ١١-١٠-٢٠٠٥م.

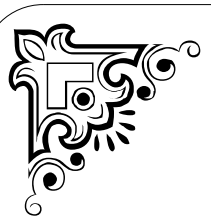

الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

أَخْبَرَ اللهُ فِي كِتَابِهِ عَنْ أَمَلِ وَرَجَاءِ إِبْرَاهِيمَ أَنْ يَرْزُقَهُ ﷻ بِالْوَلَدِ الصَّالِحِ، فَكَانَتِ الْبُشْرَى مِنَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، **قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠٠-١٠١].

* **وَيَعْقُوبُ** عليه السلام **أُسْوَةٌ وَقُدْوَةٌ فِي أَمَلِهِ وَرَجَائِهِ فِي رَبِّهِ، رَغْمَ مِحْنَتِهِ الشَّدِيدَةِ بِفَقْدِ يُوسُفَ وَأَخِيهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٣-٨٧].

* **وَهَذَا دُعَاءُ أَيُّوبَ** عليه السلام **لِرَبِّهِ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ الضُّرَّ الَّذِي مَسَّهُ، وَأَمَلُهُ وَقُوَّةُ رَجَائِهِ فِي اللهِ، وَاسْتِجَابَةُ اللهِ لَهُ، قَالَ اللهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣- ٨٤].

* **وَهَذِهِ بُشْرَى الْمَلَائِكَةِ لِإِبْرَاهِيمَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ **بِأَنَّ اللهَ سَيَرْزُقُهُ وَلَدًا عَلَى كِبَرِ سِنِّهِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥١-٥٦].(*).

* **اللهُ** جَلَّ وَعَلَا **أَخْبَرَ أَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا؛ فَلْيَكُنِ الْمُسْلِمُ عَلَى أَمَلٍ دَائِمٍ بِتَفْرِيجِ الْكُرُبَاتِ، قَالَ اللهُ** جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ١-٦].

قَدْ فَتَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ، وَوَسَّعْنَاهُ لِلْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، وَجَعَلْنَاهُ مُنْبَسِطًا رَاضِيًا، وَمُتَحَمِّلًا لِأَعْبَاءِ حَمْلِ الرِّسَالَةِ وَتَبْلِيغِهَا لِلنَّاسِ، وَمُتَحَمِّلًا أَخْلَاقَهُمْ.

وَحَطَطْنَا عَنْكَ مَا أَثْقَلَ ظَهْرَكَ مِنْ هُمُومٍ كُبْرَىٰ لِإِصْلَاحِ قَوْمِكَ، وَإِنْقَاذِ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ خَبَائِثِهَا وَظُلْمِهَا وَفَسَادِهَا.

فَبَيَّنَ لَكَ وَسَائِلَ التَّبْلِيغِ، وَأَسَالِيبَ التَّرْبِيَةِ وَالْإِصْلَاحِ، فَأَلْقَىٰ عَنْكَ كُلَّ هُمُومِكَ بِمَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ تَعْلِيمَاتٍ وَأَوَامِرَ رَبَّانِيَّةٍ تُوَضِّحُ لَكَ مَنْهَجَ دَعْوَتِكَ.

وَأَعْلَيْنَا لَكَ يَا رَسُولَ اللهِ ذِكْرَكَ الْحَسَنَ؛ إِذْ جَعَلْتُكَ رَسُولًا، وَاسْتَمَرَّ عَطَائِي لَكَ حَتَّىٰ إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالتَّشَهُّدِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ».

فَإِنَّ مَعَ الشِّدَّةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا مِنْ جِهَادِ الْمُشْرِكِينَ يُسْرًا وَرَخَاءً عَاجِلًا، فَإِنْ يُظْهِرْكَ اللهُ عَلَيْهِمْ حَتَّىٰ يَنْقَادُوا لِلْحَقِّ الَّذِي جِئْتَهُمْ بِهِ؛ فَذَلِكَ تَيْسِيرٌ مِنْ بَعْدِ التَّعْسِيرِ.

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا كَثِيرًا كَذَلِكَ؛ فَكُنْ عَلَىٰ أَمَلٍ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، وَتَلَقَّ الْأَحْدَاثَ الْحَاضِرَةَ الْمُؤْلِمَةَ بِالرِّضَا وَالتَّسْلِيمِ، وَبِنَفْسٍ مُنْشَرِحَةٍ مَشْحُونَةٍ بِالْأَمَلِ فِيمَا سَيَأْتِي، صَابِرَةٍ عَلَىٰ الْعُسْرِ الْوَاقِعِ.

فَالنَّفْسُ الْمَشْحُونَةُ بِأَمَلِ الْيُسْرِ الْقَادِمِ يَضْمُرُ لَدَيْهَا أَلَمُ الْعُسْرِ الْقَائِمِ، وَمُنْتَظِرُ الْفَجْرِ الْقَرِيبِ لَا يَشْعُرُ بِظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْقَاتِمِ.(*).

عِبَادَ اللهِ! كَمَا بَيَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَهَمِّيَّةَ الْأَمَلِ وَثَمَرَاتِهِ؛ نَهَى عَنِ الْيَأْسِ وَآثَارِهِ، وَحَذَّرَ مِنَ الْقُنُوطِ وَعَوَاقِبِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ أَمَرَ عِبَادَهُ بِأَلَّا يَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَتِهِ، عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤَمِّلُوا فِي رَوْحِ اللهِ، وَأَلَّا يَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا مِنْ وَسِيعِ رَحْمَتِهِ.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

يُخْبِرُ اللهُ عِبَادَهُ الْمُسْرِفِينَ بِوَسِيعِ كَرَمِهِ، وَسَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَيَحُثُّهُمْ عَلَىٰ الْإِنَابَةِ قَبْلَ أَلَّا يُمْكِنَهُمْ ذَلِكَ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [الشرح: ١-٦].

فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: قُلْ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ وَمَنْ قَامَ مَقَامَهُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَىٰ دِينِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا؛ مُخْبِرًا لِلْعِبَادِ عَنْ رَبِّهِمْ: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ بِاتِّبَاعِ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالسَّعْيِ فِي مَسَاخِطِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ.

﴿لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾: لَا تَيْأَسُوا مِنْهَا فَتُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَىٰ التَّهْلُكَةِ، وَتَقُولُوا: قَدْ كَثُرَتْ ذُنُوبُنَا، وَتَرَاكَمَتْ عُيُوبُنَا، فَلَيْسَ لَهَا طَرِيقٌ يُزِيلُهَا، وَلَا سَبِيلٌ يَصْرِفُهَا، فَتَبْقُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُصِرِّينَ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ، مُتَزَوِّدِينَ مَا يُغْضِبُ عَلَيْكُمُ الرَّحْمَنَ.

وَلَكِنِ اعْرِفُوا رَبَّكُمْ بِأَسْمَائِهِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَرَمِهِ وَجُودِهِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا؛ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْقَتْلِ، وَالزِّنَا، وَالرِّبَا، وَالظُّلْمِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الذُّنُوبِ الْكِبَارِ وَالصِّغَارِ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أَيْ: وَصْفُهُ الْمَغْفِرَةُ وَالرَّحْمَةُ وَصْفَانِ لَازِمَانِ ذَاتِيَّانِ، لَا تَنْفَكُّ ذَاتُهُ عَنْهُمَا أَبَدًا، وَلَمْ تَزَلْ آثَارُهُمَا سَارِيَةً فِي الْوُجُودِ، مَالِئَةً لِلْمَوْجُودِ، تَسِحُّ[1] يَدَاهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَيُوَالِي النِّعَمَ عَلَىٰ الْعِبَادِ وَالْفَوَاضِلَ فِي السِّرِّ وَالْجَهَارِ، وَالْعَطَاءُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الْمَنْعِ، وَالرَّحْمَةُ سَبَقَتِ الْغَضَبَ وَغَلَبَتْهُ.

---

(١) (تَسِحُّ) بِتَخْفِيفِ السِّينِ وَكَسْرِهَا، أَيْ: دَائِمَةُ الصَّبِّ والهطْل بالعَطاء، وَ(السَّحُّ): الصَّبُّ الدَّائِمُ، انظر: شرح النووي علىٰ «**صحيح مسلم**»: ٧/ ٨٠، و«**النهاية في غريب الحديث**» لابن الأثير: حَرْفُ السِّينِ: بَابُ السِّينِ مَعَ الْحَاءِ، ٢/ ٣٤٥.

وَلَكِنْ لِمَغْفِرَتِهِ وَرَحْمَتِهِ وَنَيْلِهِمَا أَسْبَابٌ، إِنْ لَمْ يَأْتِ بِهَا الْعَبْدُ؛ فَقَدْ أَغْلَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ، أَعْظَمُهَا وَأَجَلُّهَا؛ بَلْ لَا سَبَبَ لَهَا غَيْرُهُ: الْإِنَابَةُ إِلَىٰ اللهِ بِالتَّوْبَةِ النَّصُوحِ، وَالدُّعَاءُ وَالتَّضَرُّعُ، وَالتَّأَلُّهُ وَالتَّعَبُّدُ؛ فَهَلُمَّ إِلَىٰ هَذَا السَّبَبِ الْأَجَلِّ، وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ.

وَلِهَذَا أَمَرَ تَعَالَىٰ بِالْإِنَابَةِ إِلَيْهِ، وَالْمُبَادَرَةِ إِلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ بِقُلُوبِكُمْ، ﴿وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ بِجَوَارِحِكُمْ.

إِذَا أُفْرِدَتِ الْإِنَابَةُ؛ دَخَلَتْ فِيهَا أَعْمَالُ الْجَوَارِحِ، وَإِذَا جُمِعَ بَيْنَهُمَا كَمَا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ كَانَ الْمَعْنَىٰ -كَمَا مَرَّ-.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ دَلِيلٌ عَلَىٰ الْإِخْلَاصِ، وَأَنَّهُ مِنْ دُونِ إِخْلَاصٍ لَا تُفِيدُ الْأَعْمَالُ الظَّاهِرَةُ وَالْبَاطِنَةُ شَيْئًا.

﴿مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ مَجِيئًا لَا يُدْفَعُ، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤]، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مَا الْإِنَابَةُ وَالْإِسْلَامُ؟ وَمَا جُزْئِيَّاتُهَا وَأَعْمَالُهَا؟

فَأَجَابَ تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ مِمَّا أَمَرَكُمْ مِنَ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ؛ كَمَحَبَّةِ اللهِ وَخَشْيَتِهِ، وَخَوْفِهِ وَرَجَائِهِ، وَالنُّصْحِ لِعِبَادِهِ، وَمَحَبَّةِ الْخَيْرِ لَهُمْ، وَتَرْكِ مَا يُضَادُّ ذَلِكَ، وَمِنَ الْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ؛ كَالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ، وَالْحَجِّ، وَالصَّدَقَةِ، وَأَنْوَاعِ الْإِحْسَانِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَهُوَ أَحْسَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّنَا.

فَالْمُتَتَبِّعُ لِأَوَامِرِ رَبِّهِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ وَنَحْوِهَا هُوَ الْمُنِيبُ الْمُسْلِمُ، ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٥].

وَكُلُّ هَذَا حَثٌّ عَلَىٰ الْمُبَادَرَةِ، وَانْتِهَازِ الْفُرْصَةِ»(١).(*).

❀❀❀

(١) «**تيسير الكريم الرحمن**»: ص٧٢٧ و٧٢٨، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

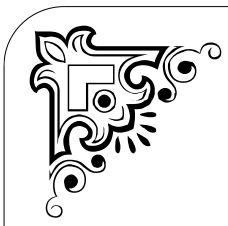

الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ حَمَلَ إِلَىٰ الْبَشَرِيَّةِ التَّيْسِيرَ وَالتَّبْشِيرَ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغُدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ(١).

وَعَنْ أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٢).

وَعَنْهُ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَىٰ الْيَمَنِ؛ قَالَ: «**يَسِّرا وَلَا تُعَسِّرا، وَبَشِّرا وَلَا تُنَفِّرا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١/ ٩٣، رقم (٣٩).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ٣/ ١٣٥٨، رقم (١٧٣٢).

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٦/ ١٦٣، رقم (٣٠٣٨) وفي مواضع، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٣).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(١).

«وَنَبِيُّنَا ﷺ مَا خُيِّرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا؛ كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَقَالَ أَبُو مُوسَىٰ ﷺ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَمْرِهِ قَالَ: «**بَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا عَدْوَىٰ وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ**».

قَالُوا: وَمَا الْفَأْلُ؟

قَالَ: «**كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ**»(٢). (*).

وَالرَّجَاءُ وَالْأَمَلُ فِي رَحْمَةِ اللهِ -تَعَالَى- مِمَّا بَيَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي سُنَّتِهِ الْمُشَرَّفَةِ؛

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٥٢٤، رقم (٦١٢٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٣/ ١٣٥٩، رقم (١٧٣٤).

وفي رواية للبخاري: ١/ ١٦٣، رقم (٦٩)، بلفظ: «**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنَفِّرُوا**».

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٠/ ٢١٤ و٢٤٤، رقم (٥٧٥٦ و٥٧٧٦)، ومسلم في «**الصحيح**»: ٤/ ١٧٤٦، رقم (٢٢٢٤)، من حديث: أَنَسٍ ﷺ.

والحديث في «الصحيحين» أيضا من رواية أبي هريرة ﷺ، بنحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ كِتَاب: «ضَوَابِطُ الرِّوَايَةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ» – [الْجُزْءُ الثَّانِي: ٤٨٤].

فَعَنْ شَطْبٍ الطَّوِيلِ: أَنَّهُ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً –وَالْحَاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالدَّاجَةُ: هِيَ الْحَاجَةُ الْكَبِيرَةُ– أَرَأَيْتَ رَجُلًا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، وَلَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلَا دَاجَةً؛ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟

فَقَالَ: «**أَسْلَمْتَ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَافْعَلِ الْخَيْرَاتِ، وَاتْرُكِ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلْهَا اللهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهَا**».

قَالَ: وَغَدَرَاتي وَفَجَرَاتِي؟

قَالَ: «**نَعَمْ**».

قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ(١). (*).

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: ٥/ ١٨٨ و١٨٩، رقم (٢٧١٨)، والبزار كما في الزوائد علىٰ «**المسند**»: ٤/ ٧٩ و٨٠، رقم (٣٢٤٤)، والدولابي في «**الكنىٰ**»: ١/ ٢٣٣، رقم (٤٢٠)، وأبو القاسم البغوي في «**معجم الصحابة**»: ٣/ ٣٢٢، رقم (١٢٦٢)، وابن قانع في «**معجم الصحابة**»: ١/ ٣٤٩، ترجمة (٤٤١)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: ٧/ ٣٧٥ و٣٧٦، رقم (٧٢٣٥).

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: ٣/ ١١٦٢، رقم (٣٣٩١).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «مِنْ آفَاتِ اللِّسَانِ: الْكَلَامُ فِيمَا لَا يَعْنِي» – الْجُمُعَةُ ٨ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٧هـ| ١٥-٤-٢٠١٦م.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ -فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ-: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ فِي كِتَابِهِ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً**»(١).

زَادَ فِي رِوَايَةٍ(٢): «**أَوْ مَحَاهَا، وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**». رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

مَعَ هَذَا الْحِسَابِ لِلْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ!!

مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ عَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ!!

وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا؛ كَتَبَهَا اللهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هُوَ هَمَّ بِالسَّيِّئَةِ فَعَمِلَهَا؛ كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، أَوْ مَحَاهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَقُولُ: «**وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ**». فَإِنَّهُ لَا يَهْلِكُ مَعَ هَذَا الْكَرَمِ فِي الْحِسَابِ إِلَّا الْهَالِكُ -نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ-.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ عَبْدِي**

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١١/ ٣٢٣، رقم (٦٤٩١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١١٨، رقم (١٣١).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٨، بلفظ: «وَمَحَاهَا اللهُ وَلَا يَهْلِكُ عَلَىٰ اللهِ إِلَّا هَالِكٌ».

أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيهِ حَتَّىٰ يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلِي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً.

وَإِنْ أَرَادَ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةٍ»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، وَمُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ(٢): قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ»**.

وَفِي أُخْرىٰ(٣) -أَيْ: فِي رِوَايَةٍ أُخْرَىٰ لَهُ- قَالَ: عَنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **«قَالَ اللهُ ﷻ: إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ حَسَنَةً مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَإِنِّي أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَإِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً؛ فَإِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ»**؛ أَيْ: تَرَكَهَا لِأَجْلِي.

عَنْ مَعْنِ بنِ يَزِيدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ أَبِي (يَزِيدُ) أَخْرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي الْمَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُهَا فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فَقَالَ: وَاللهِ مَا إِيَّاكَ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ١٣/ ٤٦٥، رقم (٧٥٠١)، ومسلم في «**الصحيح**»: ١/ ١١٧، رقم (١٢٨).

(٢) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٨، رقم (١٣٠).

(٣) «**صحيح مسلم**»: ١/ ١١٧، رقم (١٢٩).

أَرَدْتُ، فَخَاصَمْتُهُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.(*).

فَسُبْحَانَ رَبِّيَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الَّذِي عَمَّتْ رَحْمَتُهُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَوَسِعَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي كُلِّ الآنَاتِ وَاللَّحَظَاتِ.

وَسَعَةُ رَحْمَتِهِ تَتَضَمَّنُ أَنَّهُ لَا يَهْلِكُ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ تَوْحِيدِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ فَإِنَّهُ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، لَا يَخْرُجُ عَنْ دَائِرَةِ رَحْمَتِهِ إِلَّا الْأَشْقِيَاءُ الْمَحْرُومُونَ، وَلَا أَشْقَىٰ مِمَّنْ لَمْ تَسَعْهُ رَحْمَتُهُ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ.

يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةً ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا -**وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**-: ﴿**كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤].

وَهَذَا وَعْدٌ مِنَ اللهِ، وَهُوَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَلَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ، وَهُوَ خَبَرٌ مِنْهُ لِعِبَادِهِ، وَهُوَ صَادِقُ الْمَقَالِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ، إِنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ، وَخَيْرُ الرَّاحِمِينَ.

وَرَحْمَتُهُ: اسْمٌ جَامِعٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ كُلِّ رَاحِمٍ، أَرْحَمُ بِنَا مِنْ آبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَأَوْلَادِنَا وَأَنْفُسِنَا.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: ٣/ ٢٩١، رقم (١٤٢٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

فَكُلُّ رَاحِمٍ لِلْعَبْدِ؛ فَاللهُ أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ، إِنَّهُ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، لَوْ جُمِعَتْ رَحَمَاتُ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ؛ لَكَانَتْ رَحْمَةُ اللهِ أَشَدَّ وَأَعْظَمَ، وَمَا تَبْلُغُ هَذِهِ الرَّحَمَاتُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ؟!!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ صَبِيٌّ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَضُمُّهُ إِلَيْهِ؛ رَحْمَةً بِهِ، وَحَنَانًا وَبِرًّا.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرْحَمُهُ؟**».

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: «**فَاللهُ أَرْحَمُ بِكَ مِنْكَ بِهِ، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**». وَهَذَا الْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ»، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

أَرْحَمُ مَا يَكُونُ مِنَ الْخَلْقِ بِالْخَلْقِ: الْأُمُّ بِوَلَدِهَا، فَإِنَّ رَحْمَةَ الْأُمِّ وَلَدَهَا لَا يُسَاوِيهَا شَيْءٌ مِنْ رَحْمَةِ النَّاسِ أَبَدًا؛ حَتَّىٰ الْأَبُ لَا يَرْحَمُ أَوْلَادَهُ مِثْلَ أُمِّهِمْ فِي الْغَالِبِ.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَحْلِبُ.. تَسْقِي؛ إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا أَرْضَعَتْهُ.

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَتَرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟**».

قُلْنَا: لَا.

فَقَالَ: «**اللهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا**». وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَيْنِ».

وَأَيْنَ تَقَعُ رَحْمَةُ الْوَالِدَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ؟!! فَهُوَ أَرْحَمُ بِالْعَبْدِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا، الرَّفِيقَةِ بِهِ فِي حَمْلِهِ وَرَضَاعِهِ وَفِصَالِهِ.(*).

وَمِنْ أَوْسَعِ أَبْوَابِ الْأَمَلِ الَّتِي فَتَحَتْهَا السُّنَّةُ الْمُطَهَّرَةُ: أَمَلُ الْمَرِيضِ فِي الشِّفَاءِ، وَالْبُشْرَى لَهُ بِالْأَجْرِ؛ فَمِنَ السُّنَّةِ: التَّبْشِيرُ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ لِلْمَرِيضِ؛ مُوَاسَاةً وَتَصْبِيرًا؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا.

فَالْمَرَضُ وَالِابْتِلَاءُ يُفِيدُ الْمُؤْمِنَ، وَيَرْفَعُ دَرَجَتَهُ، وَأَمَّا الْكَافِرُ الْفَاجِرُ فَلَا؛ كَقَوْلِهِ ﷺ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ! إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»(٢).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ سَلْمَانَ، وَعَادَ مَرِيضًا فِي كِنْدَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: أَبْشِرْ؛ فَإِنَّ مَرَضَ الْمُؤْمِنِ يَجْعَلُهُ اللهُ لَهُ كَفَّارَةً وَمُسْتَعْتَبًا، وَإِنَّ مَرَضَ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ ثُمَّ أَرْسَلُوهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ وَلِمَ أُرْسِلَ(٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَة: «مِنْ صِفَاتِ اللهِ -تَعَالَىٰ-» - مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَىٰ: الرَّحْمَةُ، الْعِلْمُ) - الْأَحَدُ ١٣ مِنْ رَجَبٍ ١٤٣٣هـ| ٣-٦-٢٠١٢م.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٩٩٩)، مِنْ طَرِيقِ: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ، بِهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١٠٨١٣)، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ.

وَأَخْرَجَهُ هَنَّادُ بْنُ السُّرِّيِّ فِي «الزُّهْدِ» (٤١٤)، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي «الْحِلْيَةِ» (١/ ٢٠٦)، وَالْمِزِّيُّ فِي «تَهْذِيبِ الْكَمَالِ» (١١/ ٩٨) (٢٣٧٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي مُعَاوِيَةَ.

=

وَالْحَدِيثُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ».

«**مُسْتَعْتَبًا**»: «الْمُسْتَعْتَبُ»: اسْمُ مَفْعُولٍ مِنَ «اسْتَعْتَبَ»؛ أَيْ: رَجَعَ عَنِ الْإِسَاءَةِ، وَطَلَبَ الرِّضَا.

فَمَرَضُ الْمُؤْمِنِ بَابٌ عَظِيمٌ لِطَلَبِ الرِّضَا مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ.

بَابٌ عَظِيمٌ لِلرُّجُوعِ عَنِ الذَّنْبِ وَالْإِثْمِ، وَإِحْسَانِ التَّوْبَةِ، وَالْإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، بِالْإِضَافَةِ إِلَىٰ تَكْفِيرِهِ الذُّنُوبَ.

«**مَرَضُ الْفَاجِرِ كَالْبَعِيرِ عَقَلَهُ أَهْلُهُ**»: «عَقَلَ الْبَعِيرَ»: ضَمَّ رُسْغَ يَدِهِ إِلَىٰ عَضُدِهِ، وَرَبَطَهُمَا مَعًا بِالْعِقَالِ؛ لِيَبْقَىٰ بَارِكًا.

«**ثُمَّ أَرْسَلُوهُ**»؛ أَيْ: أَطْلَقُوا عِقَالَهُ، فَلَا يَدْرِي لِمَ عُقِلَ؟ وَلِمَ أُرْسِلَ؟

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، أَنَّ الْقَاسِمَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**مَا أَصَابَ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ**»(١).

=

وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَرَضِ وَالْكَفَّارَاتِ» (٤٥)، مِنْ طَرِيقِ: شُعْبَةَ.

ثَلَاثَتُهُمْ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَلْمَانَ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» (٩٤٤٥)، مِنْ طَرِيقِ: مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، نَا أَبُو الْجَوَّابِ، نَا عَمَّارُ بْنُ زُرَيْقٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ سَلْمَانَ، بِهِ.

وَصَحَّحَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٧٩).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٦٢٠٨)، قَالَ: حَدَّثَنَا رَوْحٌ.

وَأَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ فِي «الْمُشْكِلِ» (٢٢٢٤)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي عَاصِمٍ.

=

وَالْحَدِيثُ أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «الصَّحِيحِ».

فِي الْحَدِيثِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ؛ لِأَنَّ الْأَذَىٰ لَا يَنْفَكُّ غَالِبًا مِنْ أَلَمٍ، أَوْ هَمٍّ، أَوْ غَمٍّ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذا الْآلَامُ وَالْأَوْجَاعُ الْبَدَنِيَّةُ، وَكَذَا الْقَلْبِيَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ تُكَفَّرُ بِهِ الذُّنُوبُ لِمَنْ وَقَعَتْ لَهُ.

فَهَذِهِ بِشَارَةٌ عَظِيمَةٌ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ احْتَسَبَ بِذَلِكَ الْأَجْرَ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

عِبَادَ اللهِ! مِنَ السُّنَّةِ: أَنْ يَنْصَحَ الْعَائِدُ لِلْمَرِيضِ بِالدُّعَاءِ، وَأَلَّا يَقُولَ عِنْدَهُ إِلَّا خَيْرًا؛ فَفِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ فَقُولُوا خَيْرًا؛ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ**».

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا عَادَ مَرِيضًا؛ لَمْ يَذْكُرْ عِنْدَهُ إِلَّا مَا يَجْعَلُ الْمَرِيضَ يَائِسًا مِنَ الْحَيَاةِ بِسَبَبِهِ!!

=

كِلَاهُمَا، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ، بِهِ.

وَأَخْرَجَهُ أَحْمَدُ أَيْضًا (٢٥٦٧٦)، وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «الْمَرَضِ وَالْكَفَّارَاتِ» (٢٥٥)، مِنْ طَرِيقِ: يَحْيَىٰ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ.

وَأَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ (٣٠٩٣)، مِنْ طَرِيقِ: أَبِي عَامِرٍ الْخَزَّازِ.

كِلَاهُمَا، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَهُ.

قَالَ الدَّارَقُطْنِيُّ فِي «الْعِلَلِ» (١٤/ ٢٢٧) (٣٥٧٩): «وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ سَمِعَهُ مِنْ عَائِشَةَ، وَأَخَذَهُ عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْهَا، فَرَوَاهُ مَرَّةً عَنْهَا، وَأُخْرَىٰ عَنِ الْقَاسِمِ، عَنْ عَائِشَةَ».

وَصَحَّحَ الْإِسْنَادَ الْأَلْبَانِيُّ فِي «صَحِيحِ الْأَدَبِ الْمُفْرَدِ» (٣٩١).

وَمِنَ السُّنَّةِ: أَنْ يُنَفِّسَ الْعَائِدُ لِلْمَرِيضِ فِي أَجَلِهِ، وَأَنْ يَبْعَثَ الْأَمَلَ فِي صَدْرِهِ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ عِنْدَهُ بِالْكَلَامِ الْحَسَنِ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ مُحَاضَرَة: «آدَابُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ» – ١٤ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٢هـ| ١٤-٨-٢٠١١م.

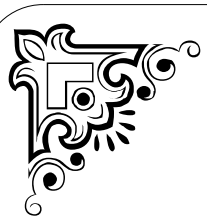

مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

إِنَّ مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ وَهَلْ بَقِيَ لَنَا إِلَّا إِحْسَانُ الظَّنِّ بِرَبِّنَا فِي هَذَا الْوَقْتِ!! عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ -وَاللَّفْظُ لَهُ-، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِراعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

وقوله: «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي**»: أَيِ: الْمُؤْمِنِ «**بِي**»، وَالْمَعْنَىٰ: أَنِّي عِنْدَ يَقِينِهِ لِي فِي الِاعْتِمَادِ عَلَىٰ فَضْلِي، وَالِاسْتِيثَاقِ بِوَعْدِي، وَالرَّهْبَةِ مِنْ وَعِيدِي، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدِي، أُعْطِيهِ إِذَا سَأَلَنِي، وَأَسْتَجِيبُ لَهُ إِذَا دَعَانِي، أَيْ: إِذَا رَسَخَ الْعَبْدُ فِي مَقَامِ التَّوْحِيدِ، وَتَمَكَّنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْوُثُوقِ بِاللهِ قَرُبَ مِنْهُ وَرَفَعَ لَهُ الْحِجَابَ بِحَيْثُ إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ، وَإِذَا سَأَلَهُ اسْتَجَابَ، كَمَا فِي الحَدِيثِ القدسي: «**عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ غَفَرْتُ لَهُ**»، وقوله: «**وَأَنَا مَعَهُ**»، أَيْ: بِالتَّوْفِيقِ وَالْحِفْظِ وَالْمَعُونَةِ أَوْ أَسْمَعُ مَا يَقُولُهُ، أَوْ عَالِمٌ بِحَالِهِ لَا يَخْفَىٰ عَلَيَّ شَيْءٌ مِنْ مَقَالِهِ، «**إِذَا ذَكَرَنِي**»، أَيْ: بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، وقوله: «**وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ**»، أَيْ: مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَوْ فِي حَضْرَتِهِمْ، «**ذَكَرْتُهُ**»، أَيْ: بِالثَّنَاءِ الْجَمِيلِ وَإِعْطَاءِ الْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَحُسْنِ

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَأَحْمَدُ(١) بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللهِ -تَعَالَىٰ- مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ**».

وَعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَخْرَجَهُ(٢): قَالَ جَابِرٌ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يَقُولُ: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ**

=

الْقَبُولِ وَتَوْفِيقِ الْوُصُولِ، «**فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ**»، أَيْ: مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ.«**وإن تقرب إليّ**» بتشديد الياء «**شبرًا**»، أي: مقدار شبر، وهو: قدر بعد ما بين رأس الخنصر ورأس الإبهام والكف مبسوطة مفرقة الأصابع، «**تقربت إليه ذراعًا، وإن تقرب إليّ ذرعًا**» بكسر الذال المعجمة، أي: بقدر ذراع، وهو من الإنسان: من المرفق إلىٰ أطراف رؤوس الأصابع، «**تقربت إليه باعًا**»، أي: بقدر باع، وهو: مسافة ما بين الكفين إذا بسطتهما يمينا وشمالا، «**وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**»: إسراعًا.

هذه كلها أمثال ضربت تدلّ علىٰ أن الله تعالىٰ لا يضيع عمل عامل وإن قل، بل يقبله ويجعل له ثوابه مضاعفا، قَالَ أَبُو عِيسَىٰ التِّرْمِذِيّ فِي «**الجامع**» (٣٦٠٣): ويروىٰ عَن الْأَعْمَش فِي تَفْسِير هَذَا الحَدِيث: «**تقربت مِنْهُ ذِرَاعا**» قَالَ: يَعْنِي بالمغفرة وَالرَّحْمَة، قَالَ: وَهَكَذَا فسر بعض أهل الْعلم هَذَا الحَدِيث. قَالُوا: مَعْنَاهُ: إِذا تقرب إِلَيّ بطاعتي سارعت إِلَيْهِ بمغفرتي ورحمتي.

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩٣)، والترمذي (٣٦٠٤)، وأحمد (٢/ ٢٩٧ و٣٠٤ و٣٥٩ و٤٠٧ و٤٩١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٧٧).

وزاد أحمد في رواية (٣/ ٣٩٠-٣٩١): «...، **فَإِنَّ قَوْمًا قَدْ أَرْدَاهُمْ سُوءُ ظَنِّهِمْ بِاللهِ**»، فَقَالَ اللهُ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

الظَّنَّ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا».

فَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ، وَأَنْ يُجِيرَنَا وَأَنْ يُعِيذَنَا مِنْ سُوءِ الظَّنِّ بِهِ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ» - الْجُمُعَةُ ١١ مِنْ جُمَادَىٰ الْآخِرَةِ ١٤٣٥هـ| ١١-٤-٢٠١٤م.

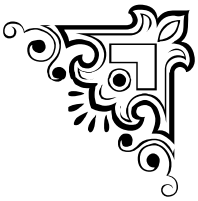

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْمِحَنِ

عِبَادَ اللهِ! مَهْمَا اشْتَدَّتْ عَلَى الْمَرْءِ الْمِحْنَةُ؛ فَلَا يَيْأَسْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ «فَإِنَّ الرَّجَاءَ يُوجِبُ لِلْعَبْدِ السَّعْيَ وَالِاجْتِهَادَ فِيمَا رَجَاهُ، وَالْإِيَاسُ يُوجِبُ لَهُ التَّثَاقُلَ وَالتَّبَاطُؤَ، وَأَوْلَىٰ مَا رَجَا الْعِبَادُ: فَضْلُ اللهِ، وَإِحْسَانُهُ، وَرَحْمَتُهُ وَرَوْحُهُ»(١).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

وَرَوْحُ اللهِ هُنَا: رَحْمَتُهُ(٢) الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ مِنْهَا مَوْقِفَ الْيَأْسِ وَالْقُنُوطِ؛ مَهْمَا اشْتَدَّتْ بِالْإِنْسَانِ الْمِحَنُ، وَتَكَالَبَتْ عَلَيْهِ الرَّزَايَا؛ لِأَنَّ اللهَ ﷻ قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ الْفَرَجِ، وَتَفْرِيجِ الْكَرْبِ، وَتَبْدِيدِ الْخُطُوبِ، وَالشَّكُّ فِي ذَلِكَ مَدْعَاةٌ لِنِسْبَةِ النَّقْصِ وَالْعَجْزِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَاعْتِقَادُ ذَلِكَ بِاللهِ ﷻ كُفْرٌ

---

(١) «**تَيْسِيرُ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ**»: (ص ٤٠٤).

(٢) أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٢/ ٢٢٢، رقم ١٣٣٧)، وَالطَّبَرِيُّ فِي «**جَامِعِ الْبَيَانِ**»: (١٣/ ٤٩)، ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «**التَّفْسِيرِ**»: (٧/ ٢١٩٠، رقم ١١٩١١)، بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**لَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ**﴾، قَالَ: «**مِنْ رَحْمَةِ اللهِ**». وقال الضحاك والسدي، بنحوه.

بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ وَعَظِيمِ سُلْطَانِهِ.

وَلَقَدْ نَهَىٰ اللهُ ﷻ عَنْ هَذَا الْيَأْسِ وَذَلِكَ الْقُنُوطِ؛ مَهْمَا كَانَتِ الْحَالُ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْعَبْدُ، وَاسْتَقَرَّتْ فِيهَا الشِّدَّةُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورىٰ: ٢٨].

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ ﷻ أَحْوَالًا لِعِبَادِهِ بَلَغَ فِيهَا بَعْضُهُمْ مَبْلَغَ الْحَرَجِ، وَكَادُوا فِيهَا أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لِلْيَأْسِ، فَجَاءَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ الْفَرَجُ، وَأَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ بِتَبْدِيدِ الشَّدَائِدِ، وَإِزَالَةِ الْكُرَبِ.

قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

بَعْدَ هَذَا الزِّلْزَالِ الَّذِي مَلَأَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ، وَبَعْدَ تِلْكَ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ الَّتِي رَكِبَتْهُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ؛ جَاءَ نَصْرُ اللهِ، وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

فَأَمَامَ هَذِهِ الْقُدْرَةِ الرَّبَّانِيَّةِ لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَسَرَّبَ إِلَىٰ النُّفُوسِ الْيَأْسُ، وَلَا أَنْ يَسْتَحْكِمَ فِيهَا الْقُنُوطُ مَا دَامَتْ قُدْرَةُ اللهِ ﷻ أَقْوَىٰ مِنْ كُلِّ الشَّدَائِدِ وَالْمِحَنِ، وَمَا

دَامَ سُلْطَانُهُ فَوْقَ كُلِّ هَذَا الْوُجُودِ.(*).

وَقَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ﴾ [الأنعام: ٦٤].

«**قُلْ لَهُمْ**: اللهُ -سُبْحَانَهُ- يُخَلِّصُكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَمِنَ الظُّلُمَاتِ، وَمِنْ كُلِّ غَمٍّ شَدِيدٍ»(٢). (*/٢).

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

«وَهُوَ الَّذِي لَهُ الْقُدْرَةُ الْكَامِلَةُ عَلَىٰ حِمَايَةِ مَنِ احْتَمَىٰ بِهِ، مَنِ اسْتَجَارَ بِهِ فَأَجَارَهُ، كَفَاهُ وَحَمَاهُ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا؛ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ بَعْدَ اللهِ أَحَدًا يُؤَمِّنُهُ فَيَكْفِيهِ وَيَحْمِيهِ، أَوْ يَدْفَعُ عَنْهُ»(٤). (*/٣).

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**(٦)، **يُبْتَلَىٰ الرَّجُلُ عَلَىٰ قَدْرِ**

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَة: «الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ صَفَرٍ ١٤٣٦هـ| ١٩-١٢-٢٠١٤م.

(٢) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص١٣٥).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الأنعام: ٦٤].

(٤) «**المعين علىٰ تدبر الكتاب المبين**»: (ص٣٤٧).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ سِلْسِلَة: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [المؤمنون: ٨٨].

(٦) «**الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ**»، أي: الأشرف فالأشرف، والأعلىٰ فالأعلىٰ في الرتبة والمنزلة، يقال: =

دِينِهِ(١)، **فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ؛ زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ**(٢)؛ **خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يَمْشِيَ عَلَىٰ الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**»(٣).

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

وَرَوَىٰ الْبُخَارِيُّ(٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَصْفُ لِأَحَدٍ؛ وَلَوْ نَالَ مِنْهَا مَا عَسَاهُ أَنْ يَنَالَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصِبْ مِنْهُ**(٥)».

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ**»(٦).

=

هذا أمثل من هذا، أي: أفضل وأدنىٰ إلىٰ الخير، وأماثل الناس: خيارهم.

(١) «**عَلَىٰ قَدْرِ دِينِهِ**»، أَيْ: مِقْدَارِهِ ضَعْفًا وَقُوَّةً، وَنَقْصًا وَكَمَالًا.

(٢) «**فِي دِينِهِ رِقَّةٌ**»، أَيْ: ضَعْفٌ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء، (٢٣٩٨)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كتاب الفتن: باب الصبر علىٰ البلاء، (٤٠٢٣)، وأحمد في «**المسند**»: (١/ ١٧٢، رقم١٤٨١) واللفظ له.

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وَكَذَا صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٢٧٣، رقم ١٤٣).

(٤) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كتاب المرضىٰ: باب ما جاء في كفارة المرض، (٥٦٤٥)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٥) «**يُصِبْ مِنْهُ**»، أَيِ: ابْتَلاه بالمَصَايب لِيُثِيبَه عَلَيْهَا، يُقَالُ: مُصِيبَة ومَصُوبَة ومُصَابَة، والجمعُ: مَصَايب ومَصَاوِب، وَهُوَ: الْأَمْرُ الْمَكْرُوهُ ينْزِل بالإنسانِ.

(٦) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الْجَامِعِ**»: كتاب الزهد: باب ما جاء في الصبر علىٰ البلاء،
=

رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَحَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ.(*).

* **عِبَادَ اللهِ! كُلَّمَا عَظُمَ صِدْقُ الْعَبْدِ وَإِخْلَاصُهُ؛ زَادَ أَمَلُهُ فِي تَفْرِيجِ كُرُبَاتِهِ؛ فَعَنِ ابْنِ عُمَرَ** رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَىٰ غَارٍ، فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ.**

فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ.

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبُقُ قَبْلَهُمَا أَهلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ بِي طَلَبُ شَجَرٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا -وَالْغَبُوقُ: الشَّرَابُ الَّذِي يُشْرَبُ بِالْعَشِيِّ-. **قَالَ: فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبُقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَلَبِثْتُ** -أَيْ: بَقِيتُ- **وَالْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّىٰ بَرَقَ الْفَجْرُ**».

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «**وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ قَدَمِي** -يَعْنِي: أَنَّ أَوْلَادَهُ كَانَ يَصِيحُونَ مِنَ الْجُوعِ عِنْدَ قَدَمَيهِ، فَلَمْ يُقَدِّمْهُمْ عَلَىٰ أَبَوَيْهِ- **قَالَ: فَاسْتَيْقَظَا** -يعْنِي:

=

(٢٣٩٦)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كتاب الفتن: باب الصبر علىٰ البلاء، (٤٠٣١)، مِنْ حَدِيثِ: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب»، وكذا حَسَّنَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**الصَّحِيحَةِ**»: (١/ ٢٧٦، رقم ١٤٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ مُحَاضَرَة: «فَوَائِدُ الِابْتِلَاءِ» - الْأَحَدُ ٢٧ مِنْ رَجَبٍ ١٤٤١هـ| ٢٢-٣-٢٠٢٠م.

أَبَوَيْهِ- فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَالَ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ -وَالسَّنَةُ: الْقَحْطُ وَمَا يَكُونُ مَعَهُ مِنَ الْحَاجَةِ وَالْجُوعِ وَالْفَقْرِ-.

قَالَ: فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِئَةَ دِينَارٍ عَلَىٰ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفَعَلَتْ، حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا، قَالَتْ: لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ.

قَالَ: فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ، فَقَالَ لِي: يَا عَبْدَ اللهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي.

فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أَجْرِك؛ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ لَا تَسْتَهزِئْ بِي.

فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ».

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ وَأَصَابَهُمْ مَطَرٌ، فَأَوَوْا إِلَىٰ غَارٍ، فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ، فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ.**

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَىٰ فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ -وَالْفَرَقُ: مِكْيَالٌ مَعْلُومٌ- **فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ، وَإِنِّي عَمَدْتُ إِلَىٰ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ إِلَىٰ أَنِ اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا، وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ.**

فَقُلْتُ لَهُ: اعْمِدْ إِلَىٰ تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا، فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ..».

فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَرِيبًا مِنَ الْأَوَّلِ، وَالْحَدِيثُ فِي «الصَّحِيحَينِ»(١).

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ دَلَالَةٌ عَلَىٰ عِظَمِ الصِّدْقِ عِنْدَ اللهِ ﷻ، وَعَلَىٰ أَنَّ الأَعْمَالَ لَيْسَتْ بِكَثْرَتِهَا، وَإِنَّمَا بِالصِّدْقِ وَالْإِخْلَاصِ فِيهَا، بِتَخْلِيصِهَا مِنَ الشَّوَائِبِ وَمِمَّا يُحْبِطُهَا.

فَمَهْمَا حَاوَلَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتَقَرَّبَ إِلَىٰ اللهِ بِعَمَلٍ لَمْ يَصْدُقْ فِيهِ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ للهِ مُخْلِصًا؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْبِطُ عَمَلَهُ وَيَرُدُّهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ مُشْرِكًا فِيهِ عَذَّبَهُ عَلَيْهِ.(*).

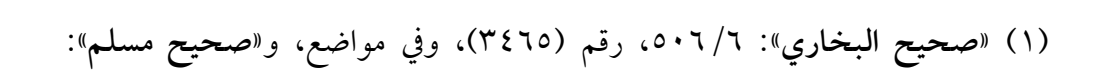

(١) «صحيح البخاري»: ٦/ ٥٠٦، رقم (٣٤٦٥)، وفي مواضع، و«صحيح مسلم»: ٤/ ٢٠٩٩، رقم (٢٧٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ» - الْجُمُعَةُ ٢٧ مِنْ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٣٥هـ| ٢٨-٣-٢٠١٤م.

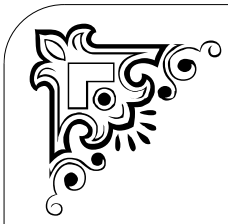

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ

«إِنَّ الْفَرَجَ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا تَرَاكَمَتِ الشَّدَائِدُ الْمُتَنَوِّعَةُ، وَضَاقَ الْعَبْدُ ذَرْعًا بِحَمْلِهَا؛ فَرَّجَهَا فَارِجُ الْهَمِّ، كَاشِفُ الْغَمِّ، مُجِيبُ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، وَهَذِهِ عَوَائِدُهُ الْجَمِيلَةُ؛ خُصُوصًا لِأَوْلِيَائِهِ وَأَصْفِيَائِهِ؛ لِيَكُونَ لِذَلِكَ الْوَقْعُ الْأَكْبَرُ، وَالْمَحَلُّ الْأَعْظَمُ، وَلِيَجْعَلَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِاللهِ وَالْمَحَبَّةِ لَهُ مَا يُوَازِنُ وَيَرْجَحُ بِمَا جَرَىٰ عَلَىٰ الْعَبْدِ بِلَا نِسْبَةٍ»(١).

«فَسُبْحَانَ مَنْ يُنْعِمُ بِبَلَائِهِ، وَيَلْطُفُ بِأَصْفِيَائِهِ، وَهَذَا عُنْوَانُ الْإِيمَانِ، وَعَلَامَةُ السَّعَادَةِ»(٢). (*).

(١) «تيسير اللطيف المنان»: (ص٢٨٥).

(٢) «تيسير اللطيف المنان»: (ص٢٨٠).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: «شَرْحُ تَيْسِيرِ اللَّطِيفِ الْمَنَّانِ فِي خُلَاصَةِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» (الْمُحَاضَرَتَيْنِ: الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ، وَالسَّابِعَةَ عَشْرَةَ)، الثُّلَاثَاءُ ٣ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٤هـ| ٨-١٠-٢٠١٣م.

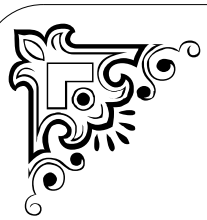

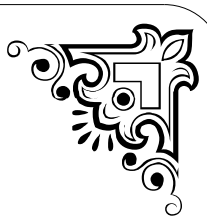

بَدْءُ التَّأْرِيخِ الْهِجْرِيِّ

فِي «**الضِّيَاءِ اللَّامِعِ**»(١): «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ نَسْتَقْبِلُ عَامًا جَدِيدًا إِسْلَامِيًّا هِجْرِيًّا، ابْتَدَأَ عَقْدُ سَنَوَاتِهِ مِنْ أَجَلِّ مُنَاسَبَةٍ فِي الْإِسْلَامِ؛ أَلَا وَهِيَ هِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي ابْتَدَأَ بِهَا تَكْوِينُ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي أَوَّلِ بَلَدٍ إِسْلَامِيٍّ مُسْتَقِلٍّ يَحْكُمُهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَلَمْ يَكُنِ التَّارِيخُ مَعْمُولًا بِهِ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ حَتَّىٰ كَانَتْ خِلَافَةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَاتَّسَعَتْ رُقْعَةُ الْإِسْلَامِ، وَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَىٰ التَّأْرِيخِ فِي أُعْطِيَاتِهِمْ وَغَيْرِهَا.

فَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ مِنْ خِلَافَتِهِ رضي الله عنه كَتَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيُّ رضي الله عنه: أَنَّهُ يَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ، فَجَمَعَ عُمَرُ الصَّحَابَةَ رضي الله عنهم فَاسْتَشَارَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخُوا كَمَا تُؤَرِّخُ الْفُرْسُ بِمُلُوكِهَا، كُلَّمَا هَلَكَ مَلِكٌ أَرَّخُوا بِوِلَايَةِ مَنْ بَعْدَهُ، فَكَرِهَ الصَّحَابَةُ ذَلِكَ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخُوا بِتَارِيخِ الرُّومِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ -أَيْضًا-.

---

(١) «**الضياء اللامع من الخطب الجوامع**» لابن عثيمين: (٩/ ٧٠١).

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخُوا مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ مَبْعَثِهِ.

وَقَالَ آخَرُونَ: مِنْ هِجْرَتِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: «الْهِجْرَةُ فَرَّقَتْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فَأَرِّخُوا بِهَا، فَأَرَّخُوا مِنَ الْهِجْرَةِ، وَاتَّفَقُوا عَلَىٰ ذَلِكَ(١).

ثُمَّ تَشَاوَرُوا مِنْ أَيِّ شَهْرٍ يَكُونُ ابْتِدَاءُ السَّنَةِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ؛ لِأَنَّهُ الشَّهْرُ الَّذِي قَدِمَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرًا.

وَاخْتَارَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رضي الله عنهم أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُحَرَّمِ؛ لِأَنَّهُ شَهْرٌ حَرَامٌ يَلِي شَهْرَ ذِي الْحِجَّةِ الَّذِي يُؤَدِّي الْمُسْلِمُونَ فِيهِ حَجَّهُمُ الَّذِي بِهِ تَمَامُ أَرْكَانِ دِينِهِمْ،

---

(١) أخرج ابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (١٣/ ٩٢)، وخليفة في «**التاريخ**»: (ص٥١)، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: (٢/ ٣٨٨)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (١/ ٤٢)، عَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ، مرسلا، قَالَ:
كَتَبَ أَبُو موسىٰ الأَشْعَرِيُّ إِلَىٰ عُمَرَ: إِنَّهُ تَأْتِينَا مِنْكَ كُتُبٌ لَيْسَ لَهَا تَأْرِيخٌ قَالَ: فَجَمَعَ عُمَرُ النَّاسَ لِلْمَشُورَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَرِّخْ لمبعث رسول الله ﷺ، وقال بعضهم: لمهاجر رسول الله ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: «لا، بَلْ نُؤَرِّخُ لِمُهَاجَرِ رَسُولِ الله ﷺ، فَإِنَّ مُهَاجَرَهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ».

وَكَانَتْ فِيهِ بَيْعَةُ الْأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْعَزِيمَةُ عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، فَكَانَ ابْتِدَاءُ السَّنَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْهِجْرِيَّةِ مِنَ الشَّهْرِ الْحَرَامِ الْمُحَرَّمِ[1]».

(١) أخرج خليفة في «**التاريخ**»: (ص ٥١)، وابن شبة في «**تاريخ المدينة**»: (٢/ ٧٥٨)، والطبري في «**تاريخ الرسل والملوك**»: (٢/ ٣٨٩)، وابن عساكر في «**تاريخ دمشق**»: (١/ ٤٢ - ٤٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، مرسلا، قَالَ:

«قَامَ رَجُلٌ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: أَرِّخُوا، فَقَالَ عُمَرُ: «مَا أَرِّخُوا؟»، قَالَ: شَيْءٌ تَفْعَلُهُ الأَعَاجِمُ، يَكْتُبُونَ فِي شَهْرِ كَذَا مِنْ سَنَةِ كَذَا، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: «حَسَنٌ»، فَأَرِّخُوا فَقَالُوا: مِنْ أَيِّ السِّنِينَ نَبْدَأُ؟ قَالُوا: مِنْ مَبْعَثِهِ، وَقَالُوا: مِنْ وَفَاتِهِ، ثُمَّ أَجْمَعُوا عَلَىٰ الْهِجْرَةِ، ثُمَّ قَالُوا: فَأَيَّ الشُّهُورِ نَبْدَأُ؟ فَقَالُوا: رَمَضَانَ، ثُمَّ قَالُوا: الْمُحَرَّمَ، فَهُوَ مُنْصَرَفُ النَّاسِ مِنْ حَجِّهِمْ، وَهُوَ شَهْرٌ حَرَامٌ، فَأَجْمَعُوا عَلَىٰ الْمُحَرَّمِ».

وفي رواية لابن عساكر: « ...، فقال عثمان: «أرخوا المحرم أول السنة، وهو شهر حرام، وهو أول الشهور في العدة، وهو منصرف الناس عن الحج»، فصيروا أول السنة المحرم».

وروي عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، ومَيْمَونِ بْنِ مَهْرَانَ، مرسلا، بنحوه.

وقد أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (٧/ ٢٦٧، رقم ٣٩٣٤)، من حديث: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه، قَالَ:

«**مَا عَدُّوا مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ، مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ المَدِينَةَ**».

قال ابن حجر في «**فتح الباري**»: (٧/ ٢٦٨ - ٢٦٩) بعد ذكر الآثار في هذا: «فَاسْتَفَدْنَا مِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الْآثَارِ أَنَّ الَّذِي أَشَارَ بِالْمُحَرَّمِ: عُمَرُ، وَعُثْمَانُ، وَعَلِيٌّ رضي الله عنهم».

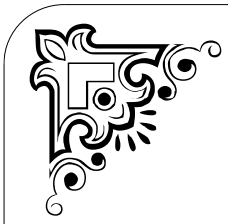

عَامٌ شَهِيدٌ وَعَامٌ جَدِيدٌ!

فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَدَّعَ الْمُسْلِمُونَ عَامًا هِجْرِيًّا عَلَىٰ مَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَسُرُورٍ وَحُزْنٍ، وَخَوْفٍ وَأَمَانٍ، وَسَعَةٍ فِي الْعَيْشِ وَضِيقٍ، وَاسْتَقْبَلُوا عَامًا جَدِيدًا لَا يَعْلَمُ أَحَدٌ سِوَىٰ اللهِ جَلَّوَعَلَا مُسْتَقْبَلَ الْمُسْلِمِينَ فِيهِ؛ وَلَكِنَّ الْأَحْوَالَ مُخِيفَةٌ تُنْذِرُ بِنَتَائِجَ مُدَمِّرَةٍ؛ فَإِنَّ سُنَّةَ اللهِ -تَعَالَىٰ- فِي خَلْقِهِ وَاحِدَةٌ؛ ﴿۞ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد: ١٠].

إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ فِي حَالٍ يُرْثَىٰ لَهَا؛ إِضَاعَةٍ لِلصَّلَوَاتِ، وَاتِّبَاعٍ لِلشَّهَوَاتِ، وَمَنْعٍ لِلزَّكَوَاتِ، وَانْتِهَاكٍ لِلْحُرُمَاتِ، وَتَفْرِيطٍ فِي الْوَاجِبَاتِ!!

كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَضَاعَ شَبَابَهُ فِي اللَّهْوِ، وَإِهْدَارِ الْوَقْتِ، وَالتَّسَكُّعِ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ فَائِدَةٍ كَأَنَّهُ حَيْرَانُ، لَا يُرِيدُ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَ الْوَقْتَ بِإِضَاعَتِهِ هُنَا وَهُنَاكَ!!

وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ نَسَوْا آخِرَتَهُمْ بِمَا انْشَغَلُوا بِهِ مِنْ أُمُورِ دُنْيَاهُمْ، فَآثَرُوا مَا خُلِقَ لَهُمْ عَلَىٰ مَا خُلِقُوا لَهُ، آثَرُوا الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ؛ كَأَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ غَالِبًا: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلىٰ: ١٦-١٧].

تَجِدُهُمْ مُنْشَغِلِينَ غَايَةَ الِانْشِغَالِ بِالْمُضَارَبَاتِ التِّجَارِيَّةِ مِنْ بَيْعٍ وَشِرَاءٍ، وَتَأْجِيرٍ وَبِنَاءٍ، جَعَلُوا هَذَا أَكْبَرَ هَمِّهِمْ؛ حَتَّىٰ وَإِنْ حَضَرُوا لِلْعِبَادَةِ فَإِنَّ غَالِبَهُمْ حَاضِرُ الْجِسْمِ غَائِبُ الْقَلْبِ!!

وَمِنَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ مَنْ قَامَ بِمُحَادَّةِ اللهِ -تَعَالَىٰ- وَرَسُولِهِ ﷺ، يَدْعُو إِلَىٰ ضِدِّ مَا دَعَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَيْهِ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ، وَالْبُعْدِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، تَجِدُهُ يَدْعُو إِلَىٰ أَسْبَابِ الْفُحْشِ وَالْفُجُورِ، يَدْعُو إِلَىٰ اخْتِلَاطِ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ، وَإِلْغَاءِ الْفَوَارِقِ إِمَّا بِصَرِيحِ الْقَوْلِ، وَإِمَّا بِالتَّخْطِيطِ الْمَاكِرِ الْبَعِيدِ، وَالْعَمَلِ مِنْ وَرَاءِ السِّتَارِ، وَهَذَا عَيْنُ الْمُحَادَّةِ لِلشَّرِيعَةِ، وَهَذَا فَتْحٌ لِبَابِ الشَّرِّ وَالْفَسَادِ.

وَلَوْ تَأَمَّلْتَ حَالَ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ لَرَأَيْتَ أَمْرًا مُرَوِّعًا مُحْزِنًا لِكُلِّ مُؤْمِنٍ غَيُورٍ عَلَىٰ دِينِهِ، خَائِفٍ مِنْ عُقُوبَةِ رَبِّهِ؛ وَلِهَذَا ظَهَرَتْ بَوَادِرُ الْعُقُوبَاتِ، فَكَثُرَتِ الْحَوَادِثُ الْكَوْنِيَّةُ مِنَ الزَّلَازِلِ، وَالْفَيَضَانَاتِ، وَالْإِعْصَارَاتِ، وَالْأَوْبِئَةِ، وَغَيْرِهَا، وَكَثُرَتِ الْفِتَنُ الدِّينِيَّةُ وَالدُّنْيَوِيَّةُ، وَحَاقَ بِبَعْضِ النَّاسِ مَا ذَكَرَهُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وَإِنَّنَا فِي مَطْلَعِ هَذَا الْعَامِ -عَلَىٰ الرَّغْمِ مِمَّا عَلَيْهِ حَالُ الْمُسْلِمِينَ- نَرَىٰ فِي الْمُسْلِمِينَ طَلِيعَةَ خَيْرٍ وَإِقْبَالٍ عَلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَتَجْدِيدٍ لِمَا انْدَرَسَ مِنْهُ، وَتَقَدُّمٍ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ ﷺ وَخُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ رضي الله عنهم، يَدِينُونَ بِالنَّصِيحَةِ للهِ -تَعَالَىٰ-، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ،

يَدْعُونَ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّهِمْ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَيُجَادِلُونَ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مَنْ جَادَلَ.

وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ**»(١). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ.

وَإِنَّنَا لَنَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَعُمَّ شُعُوبَ الْمُسْلِمِينَ بِالصَّلَاحِ، وَالْفَلَاحِ، وَالنَّصْرِ الْعَزِيزِ، وَالْفَتْحِ الْمُبِينِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ! اتَّقُوا اللهَ -تَعَالَىٰ-، وَاشْكُرُوهُ أَنْ أَبْقَاكُمْ حَتَّىٰ أَدْرَكْتُمْ هَذَا الْعَامَ، وَاسْأَلُوهُ أَنْ يُعِينَكُمْ عَلَىٰ ذِكْرِهِ، وَشُكْرِهِ، وَحُسْنِ عِبَادَتِهِ، وَأَنْ يُحْسِنَ لَكُمُ الْمُسْتَقْبَلَ وَالْخِتَامَ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ الْغَبْنَ كُلَّ الْغَبْنِ فِي خُسْرَانِ الْعُمُرِ وَالْأَوْقَاتِ، وَأَنَّ كُلَّ وَقْتٍ يَمُرُّ عَلَيْكَ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ فَإِنَّهُ خَسَارَةٌ وَنَدَامَةٌ؛ فَالرَّابِحُ مَنِ اغْتَنَمَ عُمُرَهُ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَتَزَوَّدَ فِيهِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِيَسْعَدَ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَبَعْدَ الْمَمَاتِ، وَالْخَاسِرُ مَنْ فَرَّطَ فِي الْأَوْقَاتِ وَأَهْمَلَهَا، وَتَهَاوَنَ بِالْوَاجِبَاتِ الَّتِي أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْهِ وَضَيَّعَهَا.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٦/ ٦٣٢، رقم ٣٦٤١)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٥٢٤، رقم ١٠٣٧)، من حديث: معاوية رضي الله عنه.

وهذا الحديث روي عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، بنحوه.

فَاعْرِفُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- قَدْرَ الْأَوْقَاتِ وَاغْتَنِمُوهَا، وَانْظُرُوا إِلَىٰ سُرْعَةِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي وَانْقِضَائِهَا فَأَدْرِكُوهَا، تَرَوْا أَنَّ الْأَوْقَاتَ تُطْوَىٰ خَلْفَكُمْ طَيًّا، وَأَنَّ كُلَّ لَحْظَةٍ تُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْآخِرَةِ شَيْئًا فَشَيْئًا.

فَهَذَا الْعَامُ الَّذِي وَدَّعْتُمُوهُ وَخَلَّفْتُمُوهُ قَدِ انْقَضَىٰ كُلُّهُ بِأَيَّامِهِ وَلَيَالِيهِ، وَخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَسُرُورِهِ وَأَحْزَانِهِ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْكُمْ وَكَأَنَّهُ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ سَتَنْقَضِي عَلَىٰ وَفْقِ مَا مَضَىٰ مِنَ الْأَيَّامِ.

وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ تَقْصِدُونَ بِهِ وَجْهَ اللهِ، مُتَّبِعُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ عَمَلٌ صَالِحٌ تُؤْجَرُونَ عَلَيْهِ؛ حَتَّىٰ الْأُمُورُ الْعَادِيَّةُ إِذَا قَصَدْتُمْ بِهَا وَجْهَ اللهِ صَارَتْ عِبَادَةً للهِ جَلَّ وَعَلَا.

فَإِذَا أَنْفَقَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ يَبْتَغِي وَجْهَ اللهِ أُثِيبَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَإِذَا أَدْخَلَ السُّرُورَ عَلَىٰ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ كَانَ ذَلِكَ أَجْرًا لَهُ عِنْدَ اللهِ.

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**كُلُّ سُلَامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ؛ تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».

---

(١) «صحيح البخاري»: (٦/ ١٣٢، رقم ٢٩٨٩)، و«صحيح مسلم»: (٢/ ٦٩٩، رقم ١٠٠٩).

وَقَالَ: «**إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ، وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**»؛ يَعْنِي: إِتْيَانَ زَوْجَتِهِ.

قَالُوا: «يَا رَسُولَ اللهِ! أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟!».

قَالَ ﷺ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ؛ أَكَانَ عَلَيْهِ وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»(١). وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَأَبْوَابُ الْخَيْرِ -وَللهِ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ- كَثِيرَةٌ كَثِيرَةٌ، وَالْفَضَائِلُ لِمَنْ قَامَ بِهَا وَافِرَةٌ غَزِيرَةٌ.

فَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ، وَتَبَصَّرُوا أَمْرَكُمْ، وَتَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا -الَّتِي كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا آيَةٌ- عَلَىٰ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارٍ!

تَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي الَّتِي تَسِيرُونَ بِهَا إِلَىٰ الدَّارِ الْآخِرَةِ حَتَّىٰ يَنْتَهِيَ سَفَرُكُمْ، فَطُوبَىٰ لِعَبْدٍ انْتَهَزَ فُرَصَهَا لِمَا يُقَرِّبُ إِلَىٰ مَوْلَاهُ، طُوبَىٰ لِعَبْدٍ اتَّعَظَ بِمَا فِيهَا مِنْ تَقَلُّبَاتِ الْأُمُورِ وَالْأَحْوَالِ، وَاسْتَدَلَّ بِذَلِكَ عَلَىٰ مَا للهِ فِيهَا مِنْ حِكَمٍ بَالِغَةٍ وَأَسْرَارٍ.

أَلَمْ تَرَوْا إِلَىٰ هَذِهِ الشَّمْسِ كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ مِنْ مَشْرِقِهَا، ثُمَّ تَغِيبُ فِي مَغْرِبِهَا!! ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [النور: ٤٤].

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٦٩٧، رقم ١٠٠٦)، من حديث: أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه.

وَدَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ لَيْسَتْ دَارَ بَقَاءٍ، وَإِنَّمَا هِيَ طُلُوعٌ، ثُمَّ غُيُوبٌ وَزَوَالٌ، أَلَمْ تَنْظُرُوا إِلَىٰ الشُّهُورِ يُهِلُّ فِيهَا الْهِلَالُ كَمَا يُولَدُ الْأَطْفَالُ، ثُمَّ يَنْمُو رُوَيْدًا رُوَيْدًا كَمَا تَنْمُو الْعُقُولُ وَالْأَجْسَامُ، حَتَّىٰ إِذَا تَكَامَلَ نُمُوُّهُ انْحَطَّ إِلَىٰ النَّقْصِ وَالِاضْمِحْلَالِ، وَهَكَذَا الْإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ؛ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ.

أَلَمْ تَتَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأَعْوَامِ الَّتِي خَلَّفْتُمُوهَا؟!! إِذَا أَدْرَكْتُمْ أَوَّلَهَا تَطَلَّعْتُمْ إِلَىٰ آخِرِهَا تَطَلُّعَ الْبَعِيدِ، ثُمَّ تَمُرُّ بِكُمْ أَيَّامُهَا سِرَاعًا، فَتَنْصَرِفُ كَلَمْحِ الْبَصَرِ، فَإِذَا أَنْتُمْ فِي آخِرِ الْعَامِ، وَهَكَذَا أَعْمَارُكُمْ تَسْتَقْبِلُونَهَا غَضَّةً طَرِيَّةً، فَتَنْقَضِي عَلَيْكُمْ فِي شَيْبُوبَةٍ وَإِدْبَارٍ.

لَقَدْ وَدَّعْتُمْ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ عَامًا مَاضِيًا شَهِيدًا، وَاسْتَقْبَلْتُمْ عَامًا مُقْبِلًا جَدِيدًا؛ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَوْدَعَ الْإِنْسَانُ فِي عَامِهِ الْمَاضِي الشَّهِيدِ؟!! وَمَاذَا يَسْتَقْبِلُ بِهِ هَذَا الْعَامَ الْجَدِيدَ؟!!

لَقَدْ مَضَتِ الْأَعْوَامُ وَكَأَنَّهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ؛ كَأَنَّنَا لَمْ نُوجَدْ إِلَّا فِي هَذَا الْأَوَانِ، مَضَتْ بِمَا فِيهَا مِنْ خَيْرَاتٍ وَشُرُورٍ، وَأَحْزَانٍ وَسُرُورٍ، وَعَمَلٍ وَكَسَلٍ، وَعِلْمٍ وَجَهْلٍ، وَفَقْرٍ وَغِنًىٰ، مَضَتْ بِهَذِهِ الْأُمُورِ وَكَأَنَّ شَيْئًا مَا مَضَىٰ؛ وَلَكِنْ مَنْ هُوَ الْكَاسِبُ فِي هَذِهِ الْغَمَرَاتِ؟

إِنَّ الْكَاسِبَ حَقًّا هُوَ مَنْ أَمْضَاهَا فِي طَاعَةِ اللهِ، وَاجْتَنَبَ فِيهَا مَعَاصِيَ اللهِ، وَسَارَ مُخْلِصًا للهِ، مُتَّبِعًا لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ يَحْرِصُونَ جُهْدَهُمْ عَلَىٰ حِفْظِ الْأَمْوَالِ، يَحْرِصُونَ عَلَىٰ تَحْصِيلِهَا وَتَنْمِيَتِهَا، ثُمَّ يَحْرِصُونَ عَلَىٰ تَصْرِيفِهَا وَحِفْظِهَا، فَلَا يُضَيِّعُونَ مِنْهَا قَلِيلًا وَلَا كَثِيرًا، وَلَا يُفَوِّتُونَ فُرْصَةً يَظُنُّونَ أَنَّ بِهَا شَيْئًا مِنَ الْمَالِ وَلَوْ يَسِيرًا؛ وَلَكِنَّهُمْ فِي أَعْمَارِهِمُ النَّفِيسَةِ مُفَرِّطُونَ مُهْمِلُونَ! تَمُرُّ بِهِمُ السَّاعَاتُ وَالْأَيَّامُ -بَلِ الشُّهُورُ وَالْأَعْوَامُ- وَقَدْ ضَيَّعُوا أَكْثَرَهَا هَمَلًا، وَلَمْ يُودِعُوهَا مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ عَمَلًا، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فَيَنْدَمُ حِينَ لَا يَنْفَعُ النَّدَمُ، وَيَتَمَنَّىٰ حِينَ لَا يَنْفَعُ التَّمَنِّي.

وَعَظَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا فَقَالَ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»(١). أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَالْبَيْهَقِيُّ فِي «الشُّعَبِ» عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ.

فَالشَّبَابُ قُوَّةٌ وَعَزِيمَةٌ وَإِقْدَامٌ، فَإِذَا شَابَ الْإِنْسَانُ ضَعُفَتْ قُوَّتُهُ، وَوَهَنَتْ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «**قصر الأمل**» ضمن موسوعة ابن أبي الدنيا الحديثية: (٥/ ٥٨، رقم ١١١)، والحاكم في «**المستدرك**»: (٤/ ٣٠٦، رقم ٧٨٤٦)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٤٧٦ رقم ٩٧٦٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.
قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، والحديث صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٣١١، رقم ٣٣٥٥)، وروي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ الْأَوْدِيِّ مرسلا، بمثله، وانظر: «**شعب الإيمان**»: (١٢/ ٤٧٦ - ٤٧٨).

عَزِيمَتُهُ، وَعَجَزَ إِقْدَامُهُ، وَالصِّحَّةُ قُوَّةٌ وَانْبِسَاطٌ، فَإِذَا مَرِضَ الْإِنْسَانُ وَهَنَ جِسْمُهُ، وَضَعُفَتْ نَفْسُهُ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِ الْأُمُورُ، وَالْغِنَىٰ رَاحَةٌ وَفَرَاغٌ، فَإِذَا افْتَقَرَ الْإِنْسَانُ تَعِبَ فِي تَحْصِيلِ الْمَالِ، وَانْشَغَلَ بِذَلِكَ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَعْمَالِ.

فَبَادِرُوا -أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ- أَعْمَارَكُمْ، وَاعْتَبِرُوا مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْهَا بِمَا مَضَىٰ؛ فَإِنَّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ، وَكُلَّ حَاضِرٍ ذَاهِبٌ.

فَاتَّقُوا اللهَ -تَعَالَىٰ-، وَاعْلَمُوا أَنَّ رَبَّكُمْ هُوَ الَّذِي فَطَرَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ بِقُدْرَتِهِ، وَأَوْدَعَ فِيهَا مَصَالِحَهَا بِحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فَلَقَدْ خَلَقَ لِمَصَالِحِ الْعِبَادِ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٣-٣٤].

لَقَدْ سَخَّرَ اللهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِمَصَالِحِنَا الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، فَرَتَّبَهُمَا اللهُ -تَعَالَىٰ- يَجْرِيَانِ فِي فَلَكِهِمَا بِانْتِظَامٍ بَدِيعٍ وَسَيْرٍ سَرِيعٍ، فَمُنْذُ خَلَقَهُمَا اللهُ -تَعَالَىٰ- وَهُمَا فِي فَلَكِهِمَا لَا يَخْرُجَانِ عَنْهُ قِيدَ أُنْمُلَةٍ بِإِذْنِ اللهِ -تَعَالَىٰ-، لَا يَرْتَفِعَانِ وَلَا يَنْخَفِضَانِ وَلَا يَزُولَانِ حَتَّىٰ يَأْذَنَ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِفَنَاءِ الْعَالَمِ؛ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَخْرُجُ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ؛ وَلَكِنَّهُ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

لَقَدْ سَخَّرَ اللهُ -تَعَالَىٰ- الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَجَعَلَهُمَا مِيقَاتًا لِلزَّمَانِ، فَعَلَىٰ سَيْرِ الشَّمْسِ يَتَرَتَّبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالْفُصُولُ؛ فَإِنَّ الشَّمْسَ كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي السَّمَاءِ

ازْدَادَتْ حَرَارَتُهَا فَصَارَ الْجَوُّ حَارًّا، وَكُلَّمَا انْحَدَرَتْ إِلَىٰ الْجَنُوبِ مِنَّا وَبَعُدَتْ عَنْ وَسَطِ السَّمَاءِ انْخَفَضَتْ دَرَجَةُ حَرَارَتِهَا بِسَبَبِ بُعْدِهَا عَنْ مُسَامَتَةِ الرُّؤُوسِ فَصَارَ الْجَوُّ بَارِدًا، وَمَا سَيْرُهَا هَذَا إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّهَا وَخَالِقِهَا.

أَمَّا الْقَمَرُ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- قَدَّرَهُ مَنَازِلَ، كُلَّ لَيْلَةٍ فِي مَنْزِلٍ، وَعَلَىٰ اخْتِلَافِ هَذِهِ الْمَنَازِلِ يَخْتَلِفُ نُورُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ دَقِيقٌ خَفِيٌّ؛ لَا يَزَالُ يَكْبُرُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّىٰ يَكُونَ فِي نِصْفِ الشَّهْرِ بَدْرًا جَلِيًّا، ثُمَّ يَأْخُذُ فِي النَّقْصِ حَتَّىٰ يَعُودَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ، ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

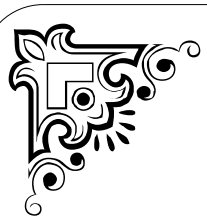

فَلَا تَظْلِمُوا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَنْفُسَكُمْ

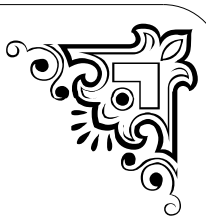

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ الزَّمَانَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثٌ مُتَوَالِيَاتٌ؛ وَهِيَ: **ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ**، وَشَهْرٌ مُفْرَدٌ، وَهُوَ **رَجَبٌ** الَّذِي بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ.

فَهَذِهِ الشُّهُورُ الْأَرْبَعَةُ مُحْتَرَمَاتٌ مُعَظَّمَاتٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ، خَصَّهُنَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- بِالنَّهْيِ عَنْ ظُلْمِ النَّفْسِ فِيهِنَّ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦].

فَنَهَانَا رَبُّنَا -تَعَالَىٰ- أَنْ نَظْلِمَ فِيهِنَّ أَنْفُسَنَا، وَالنَّهْيُ عَنْ ظُلْمِ النَّفْسِ يَشْمَلُ جَمِيعَ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ؛ لَكِنَّ لِهَذِهِ الْأَشْهُرِ الْأَرْبَعَةِ خُصُوصِيَّةً يَكُونُ ظُلْمُ النَّفْسِ فِيهَا أَشَدَّ؛ وَلِذَلِكَ نَهَىٰ اللهُ عَنِ الظُّلْمِ فِيهَا بِخُصُوصِهَا، فَاحْتَرِمُوهَا وَعَظِّمُوهَا، وَاجْتَنِبُوا فِيهَا ظُلْمَ النَّفْسِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.

فَإِنْ سَأَلْتُمْ: مَا ظُلْمُ النَّفْسِ؟

فَظُلْمُ النَّفْسِ يَكُونُ بِشَيْئَيْنِ؛ إِمَّا تَرْكٌ لِمَا أَوْجَبَ اللهُ، وَإِمَّا فِعْلٌ لِمَا حَرَّمَ اللهُ،

فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ ظُلْمٌ لِلنَّفْسِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ أَمَانَةٌ عِنْدَكَ، عَلَيْكَ أَنْ تَرْعَاهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا، فَتَسْلُكَ بِهَا مَا فِيهِ سَعَادَتُهَا وَصَلَاحُهَا، وَتَتَجَنَّبَ بِهَا مَا فِيهِ شَقَاؤُهَا وَفَسَادُهَا، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١-١٠].

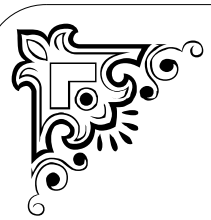

فَضَائِلُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ وَصِيَامِهِ

هَذَا شَهْرُ اللهِ الْحَرَامُ الْمُحَرَّمُ؛ فَاتَّقُوا اللهَ -تَعَالَىٰ-، وَعَظِّمُوهُ بِطَاعَةِ رَبِّكُمْ، وَامْتِثَالِ أَمْرِ نَبِيِّكُمْ ﷺ؛ فَإِنَّ اللهَ شَرَّفَهُ وَفَضَّلَهُ، وَأَضَافَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ اللهِ وَعَظَّمَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَهُوَ أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ الَّتِي يَتَأَكَّدُ فِيهَا فِعْلُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ جَمِيعِ الْمَنْهِيَّاتِ، قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْۚ﴾ [التوبة: ٣٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، فَرَأَىٰ الْيَهُودَ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**».

قَالُوا: «يَوْمٌ صَالِحٌ نَجَّىٰ فِيهِ اللهُ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ فَصَامَهُ مُوسَىٰ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُمْ**»، **فَصَامَهُ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ**»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، (١١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ إِتْيَانِ اليَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ، =

وَقَالَ ﷺ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ: «**إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»(١). فَلَمْ يَأْتِ الْعَامُ الْمُقْبِلُ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَقَالَ ﷺ: «**صَوْمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً مَاضِيَةً**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي قَتَادَةَ رضي الله عنه(٢).

فَصُومُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- يَوْمَ التَّاسِعِ، وَصُومُوا -رَحِمَكُمُ اللهُ- يَوْمَ الْعَاشِرِ؛ لِتَحُوزُوا تَكْفِيرَ ذُنُوبِكُمْ، وَالِاقْتِدَاءَ بِنَبِيِّكُمْ، وَحُصُولَ مَطْلُوبِكُمْ.

وَمَنْ كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ الصِّيَامُ، وَعَلِمَ اللهُ مِنْ نِيَّتِهِ أَنَّهُ لَوْ لَا الْعُذْرُ لَصَامَ؛ فَلْيُبْشِرْ بِحُصُولِ الْأَجْرِ مِنَ الْمَلِيكِ الْعَلَّامِ؛ لَاسِيَّمَا إِنْ كَانَ قَدِ اعْتَادَ صِيَامَهُ فِيمَا مَضَىٰ مِنَ الْأَعْوَامِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْءٌ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا**»(٣). أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ.

❀❀❀

=

(٣٩٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (١١٣٠).

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ أَيُّ يَوْمٍ يُصَامُ فِي عَاشُورَاءَ، (١١٣٤)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما.

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، (١١٦٢).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الجِهَادِ: بَابُ يُكْتَبُ لِلْمُسَافِرِ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ فِي الإِقَامَةِ، (٢٩٩٦).

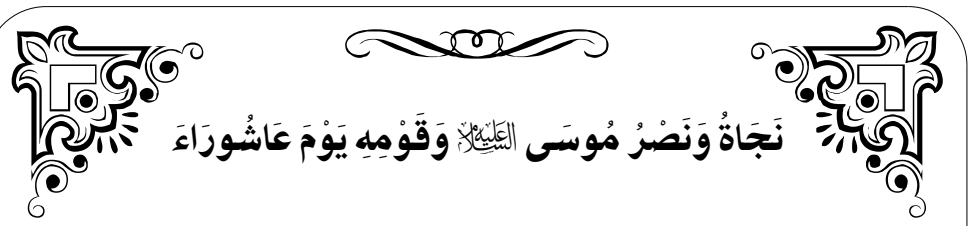

نَجَاةُ وَنَصْرُ مُوسَى عليه السلام وَقَوْمِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ

فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ نَجَّىٰ اللهُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ مِنْ فِرْعَوْنَ وَجُنُودِهِ؛ فَإِنَّهُ ﷺ دَعَا فِرْعَوْنَ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ، فَاسْتَكْبَرَ وَأَبَىٰ، وَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ، ثُمَّ اسْتَطَالَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالأَذَىٰ، فَخَرَجَ بِهِم مُوسَىٰ يَسِيرُ بِأَمْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

فَلَمَّا أَصْبَحَ فِرْعَونُ وَوَجَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ غَادَرُوا بِلَادَهُ؛ اغْتَاظَ لِذَلِكَ، فَحَشَرَ جُمُوعَهُ وَأَجْنَادَهُ، فَخَرَجَ بِهِم مِنَ الجَنَّاتِ وَالعُيُونِ، وَالكُنُوزِ وَالمَقَامِ الكَرِيمِ، يُرِيدُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ؛ لِيَسْتَأْصِلَهُمْ وَيُبِيدَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، فَوَصَلَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ شُرُوقِ الشَّمْسِ، ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ لِأَنَّ البَحْرَ أَمَامَهُمْ، وَفِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ وَرَاءَهُمْ، فَأَجَابَهُمْ مُوسَىٰ عليه السلام إِجَابَةَ ذِي الْإِيمَانِ وَاليَقِينِ ﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢].

فَلَمَّا وَصَلُوا البَحْرَ -بَحْرَ الْقُلْزُمِ، وَهُوَ البَحْرُ الأَحْمَرُ-؛ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ البَحْرَ، فَضَرَبَهُ؛ فَانْفَلَقَ فَكَانَ اثْنَيْ عَشَرَ طَرِيقًا بِعَدَدِ الْفِرَقِ، وَصَارَ المَاءُ بَيْنَ الطُّرُقِ كَالجِبَالِ، وَبَعَثَ اللهُ الرِّيحَ فِي قَعْرِ الْبَحْرِ فَصَارَ يَبَسًا، فَسَلَكَهُ مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ، لَا يَخَافُ دَرَكًا مِنْ فِرْعَوْنَ، وَلَا يَخْشَىٰ غَرَقًا.

فَلَمَّا تَكَامَلَ مُوسَىٰ وَقَوْمُهُ خَارِجِينَ؛ إِذَا بِفِرْعَوْنَ بِجُنُودِهِ قَدْ دَخَلُوا أَجْمَعُونَ، فَأَوْحَىٰ اللهُ إِلَىٰ البَحْرِ فَانْطَبَقَ، فَصَارَتْ أَجْسَادُهُمْ لِلْغَرَقِ، وَأَرْوَاحُهُمْ لِلنَّارِ وَالحَرَقِ.

فَانْظُروا -رَحِمَكُمُ اللهُ- كَيْفَ نَصَرَ اللهُ مَنْ نَصَرَهُ وَاتَّبَعَ رِضْوَانَه، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ النَّصْرُ مِنْ كُثْرِهِمْ وَلَا دَارَ لَهُمْ فِي خَيَالٍ، وَلَكِنَّ اللهَ قَدْ وَعَدَ، وَهُوَ أَصْدَقُ القَائِلِينَ: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وَقَدْ كَانَ نَصْرُهُمْ وَإِهْلَاكُ عَدُوِّهِمْ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ.

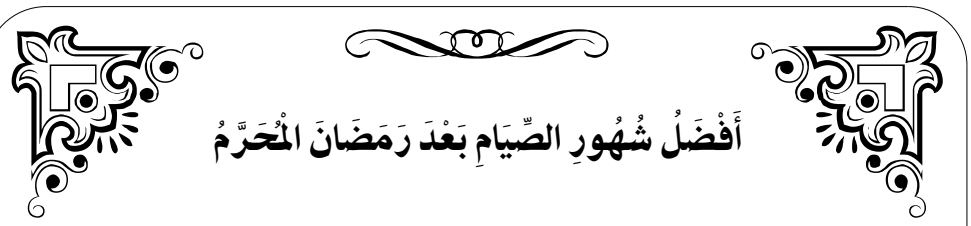

أَفْضَلُ شُهُورِ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ الْمُحَرَّمُ

أَفْضَلُ صِيَامِ النَّفْلِ: مَا كَانَ فِي شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ، وَأَفْضَلُ شُهُورِ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ: شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ.

فَإِنْ قِيلَ: فَلِمَ لَمْ يُكْثِرْ مِنْ صَوْمِهِ ﷺ كَمَا صَامَ أَكْثَرَ شَعْبَانَ؟

فَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْ هَذَا بِجَوَابَيْنِ:

* **الْأَوَّلُ**: احْتِمَالُ أَنَّهُ ﷺ عَلِمَ ذَلِكَ آخِرَ حَيَاتِهِ.

* **وَالثَّانِي**: لَعَلَّهُ مَنَعَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ يَعْرِضُ لَهُ مِنْ سَفَرٍ، أَوْ مَرَضٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، كَمَا أَفَادَ ذَلِكَ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَجْمُوعِ»(١)، وَفِي «شَرْحِهِ عَلَىٰ مُسْلِمٍ»(٢).

فَإِذَا فُهِمَ هَذَا تَعَيَّنَ لَنَا فَضْلٌ آخَرُ لِصَوْمِ عَاشُورَاءَ وَتَاسُوعَاءَ، وَهُوَ أَنَّهُمَا وَاقِعَانِ فِي أَفْضَلِ شُهُورِ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَهَذَا فَضْلٌ عَلَىٰ فَضْلٍ، ﴿وَسْـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٢].

وَلِظُهُورِ هَذَا السُّؤَالِ وَالْإِشْكَالِ كَثُرَ الْجَوَابُ عَنْهُ، وَمِنْ أَدَقِّ مَنْ

---

(١) «الْمَجْمُوع»: (٦/ ٣٨٨).

(٢) «شَرْحُ صَحِيحِ مُسْلِمٍ»: (٨/ ٥٥).

حَرَّرَ الْجَوَابَ عَنْهُ: الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَالَ(١): «وَقَدْ أَجَابَ النَّاسُ عَنْ هَذَا السُّؤَالِ بِأَجْوِبَةٍ فِيهَا ضَعْفٌ، وَالَّذِي ظَهَرَ لِي -وَاللهُ أَعْلَمُ- أَنَّ التَّطَوُّعَ بِالصِّيَامِ نَوْعَانِ:

أَحَدُهُمَا: التَّطَوُّعُ الْمُطْلَقُ بِالصَّوْمِ، فَهَذَا أَفْضَلُهُ الْمُحَرَّمُ، كَمَا أَنَّ أَفْضَلَ التَّطَوُّعِ الْمُطْلَقِ بِالصَّلَاةِ قِيَامُ اللَّيْلِ.

وَالثَّانِي: مَا صِيَامُهُ تَبَعٌ لِصِيَامِ رَمَضَانَ قَبْلَهُ وَبَعْدَهُ، فَهَذَا لَيْسَ مِنَ التَّطَوُّعِ الْمُطْلَقِ، بَلْ صِيَامُهُ تَبَعٌ لِصِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ مُلْتَحِقٌ بِصِيَامِ رَمَضَانَ؛ وَلِهَذَا قِيلَ: إِنَّ صِيَامَ سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ يَلْتَحِقُ بِصِيَامِ رَمَضَانَ، وَيُكْتَبُ بِذَلِكَ لِمَنْ صَامَهَا مَعَ رَمَضَانَ صِيَامُ الدَّهْرِ فَرْضًا.

فَهَذَا النَّوْعُ مِنَ الصِّيَامِ مُلْتَحِقٌ بِرَمَضَانَ، وَصِيَامُهُ أَفْضَلُ التَّطَوُّعِ مُطْلَقًا، وَأَفْضَلُ صِيَامِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ: شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ، وَيَشْهَدُ لِهَذَا أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «**وَأَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ**»(٢)، وَمُرَادُهُ: بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ وَلَوَاحِقِهَا مِنْ سُنَنِهَا الرَّوَاتِبِ؛ فَإِنَّ الرَّوَاتِبَ قَبْلَ الْفَرَائِضِ وَبَعْدَهَا أَفْضَلُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ عِنْدَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ؛ لِالْتِحَاقِهَا بِالْفَرَائِضِ، وَإِنَّمَا خَالَفَ فِي ذَلِكَ بَعْضُ الشَّافِعِيَّةِ، فَكَذَلِكَ الصِّيَامُ قَبْلَ رَمَضَانَ وَبَعْدَهُ مُلْتَحِقٌ بِرَمَضَانَ، وَصِيَامُهُ أَفْضَلُ مِنْ صِيَامِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، وَأَفْضَلُ التَّطَوُّعِ الْمُطْلَقِ بِالصِّيَامِ:

---

(١) «**لطائف المعارف**»: (ص٣٣-٣٤).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ فَضْلِ صَوْمِ الْمُحَرَّمِ، (١١٦٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

صِيَامُ الْمُحَرَّمِ كَمَا دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ».

وَهَلِ الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ صِيَامَ أَيَّامِ الْمُحَرَّمِ ثَوَابُهُ أَفْضَلُ مِنْ ثَوَابِ سَائِرِ الْأَيَّامِ كَعَاشُورَاءَ؟

قَالَ ابْنُ الْقَطَّانِ الْفَاسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «جُزْئِهِ فِي فَضَائِلِ عَاشُورَاءَ»: «الَّذِي فِي الْخَبَرِ الْمَذْكُورِ إِنَّمَا هُوَ تَفْضِيلُ جُمْلَةِ الشَّهْرِ عَلَىٰ كُلِّ شَهْرٍ مَا عَدَا رَمَضَانَ، أَمَّا تَفْضِيلُ كُلِّ يَوْمٍ مِنْهُ عَلَىٰ كُلِّ يَوْمٍ مِنْ غَيْرِهِ كَمَا فِي أَيَّامِ رَمَضَانَ؛ فَلَيْسَ ذَلِكَ فِيهِ، فَلَا نَقُولُ: إِنَّ صَائِمَ الْخَامِسِ مِنَ الْمُحَرَّمِ أَفْضَلُ مِنْ صَائِمِ الْخَامِسِ مِنْ رَمَضَانَ أَوْ رَجَبٍ -مَثَلًا-، لَكِنَّا نَقُولُ: صَائِمُ الْمُحَرَّمِ أَفْضَلُ مِنْ صَائِمِ غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ مَا عَدَا رَمَضَانَ، لَيْسَ مِنْ أَجْلِ اشْتِمَالِهِ عَلَىٰ عَاشُورَاءَ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ لِأَجْلِ ذَلِكَ لَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَنْ صَامَ شَهْرَ ذِي الْحِجَّةِ غَيْرَ أَيَّامِ الْعِيدِ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ يَشْتَمِلُ عَلَىٰ عَرَفَةَ الْمُكَفِّرِ لِسَنَتَيْنِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، بَلْ إِنَّ صَائِمَ يَوْمِ عَرَفَةَ أَفْضَلُ مِنْ صَائِمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ».

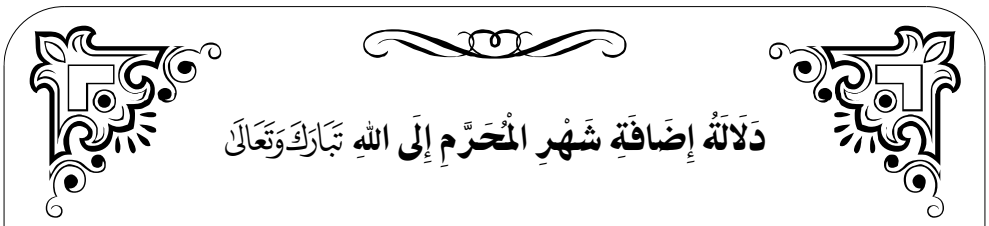

دَلَالَةُ إِضَافَةِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ إِلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ تَدُلُّ الْإِضَافَةُ فِي قَوْلِهِ ﷺ: «**شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**»(١)؟

قَالَ ابْنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللهُ(٢): «وَقَدْ سَمَّىٰ النَّبِيُّ ﷺ الْمُحَرَّمَ شَهْرَ اللهِ، وَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ اللهِ تَدُلُّ عَلَىٰ شَرَفِهِ وَفَضْلِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ -تَعَالَىٰ- لَا يُضِيفُ إِلَيْهِ إِلَّا خَوَاصَّ مَخْلُوقَاتِهِ، كَمَا نَسَبَ مُحَمَّدًا وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَغَيْرَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ إِلَىٰ عُبُودِيَّتِهِ، وَنَسَبَ إِلَيْهِ بَيْتَهُ وَنَاقَتَهُ.

وَلَمَّا كَانَ هَذَا الشَّهْرُ مُخْتَصًّا بِإِضَافَتِهِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-، وَكَانَ الصِّيَامُ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ الْمُضَافَةِ إِلَىٰ اللهِ -تَعَالَىٰ-؛ فَإِنَّهُ لَهُ مِنْ بَيْنِ الْأَعْمَالِ نَاسَبَ أَنْ يَخْتَصَّ هَذَا الشَّهْرَ الْمُضَافَ إِلَىٰ اللهِ بِالْعَمَلِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ الْمُخْتَصِّ بِهِ، وَهُوَ الصِّيَامُ».

وَقَدْ قِيلَ فِي مَعْنَىٰ إِضَافَةِ هَذَا الشَّهْرِ إِلَىٰ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: إِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ تَحْرِيمَهُ إِلَىٰ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهُ كَمَا كَانَتِ الْجَاهِلِيَّةُ، يُحِلُّونَهُ وَيُحَرِّمُونَهُ مَكَانَ صَفَرٍ، فَأَشَارَ إِلَىٰ شَهْرِ اللهِ الَّذِي حَرَّمَهُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ تَبْدِيلُ ذَلِكَ وَتَغْيِيرُهُ».

---

(١) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

(٢) «**لطائف المعارف**»: (ص٣٦).

قَالَ ابْنُ دُرَيْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْجَمْهَرَةِ»(١): «وَسُمِّيَ الْمُحَرَّمُ مُحَرَّمًا فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يُسَمَّىٰ أَحَدَ الصَّفَرَيْنِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُنْسِئُونَهُ، فَيُحَرِّمُونَهُ سَنَةً وَيُحِلُّونَهُ سَنَةً».

قَالَ السُّيُوطِيُّ فِي «الْمُزْهِرِ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا»(٢): «قُلْتُ: وَهَذِهِ فَائِدَةٌ لَطِيفَةٌ لَمْ أَرَهَا إِلَّا فِي «الْجَمْهَرَةِ»، فَكَانَتِ الْعَرَبُ تُسَمِّي صَفَرَ الْأَوَّلَ وَصَفَرَ الثَّانِيَ، وَرَبِيعَ الْأَوَّلَ وَرَبِيعَ الثَّانِيَ، وَجُمَادَىٰ الْأُولَىٰ وَجُمَادَىٰ الْآخِرَةَ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ وَأَبْطَلَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ النَّسِيءِ؛ سَمَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ «**شَهْرَ اللهِ الْمُحَرَّمَ**»، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ**»؛ وَبِذَلِكَ عُرِفَتِ النُّكْتَةُ فِي قَوْلِهِ: «**شَهْرُ اللهِ**»، وَلَمْ يَرِدْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي بَقِيَّةِ الْأَشْهُرِ وَلَا رَمَضَانَ».

قَالَ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَقَدْ كُنْتُ سُئِلْتُ مِنْ مُدَّةٍ عَنِ النُّكْتَةِ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَحْضُرْنِي فِيهَا شَيْءٌ حَتَّىٰ وَقَفْتُ عَلَىٰ كَلَامِ ابْنِ دُرَيْدٍ هَذَا، فَعُرِفَتْ بِهِ النُّكْتَةُ فِي ذَلِكَ».

شَهْرُ الْحَرَامِ مُبَارَكٌ مَيْمُونُ وَالصَّوْمُ فِيهِ مُضَاعَفٌ مَسْنُونُ

وَثَوابُ صَائِمِهِ لِوَجْهِ إِلَهِهِ فِي الْخُلْدِ عِنْدَ مَلِيكِهِ مَخْزُونُ

❀❀❀

(١) «جمهرة اللغة»: (١/ ٥٢٢).

(٢) «الْمُزْهِرُ فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَأَنْوَاعِهَا»: (١/ ٢٣٩-٢٤٠).

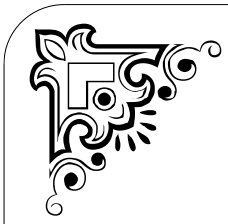

مِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ

الصِّيَامُ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّهُ تَرَكَ شَهَوَاتِهِ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي**»(١).

«**وَفِي الْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ غَيْرُهُمْ**»(٢).

«**وَهُوَ جُنَّةٌ لِلْعَبْدِ** -أَيِ: الصِّيَامُ- **جُنَّةُ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ**»(٣).

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ اللِّبَاسِ: بَابُ مَا يُذْكَرُ فِي المِسْكِ، (٥٩٢٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، (١١٥١)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ: بَابُ صِفَةِ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، (٣٢٥٧)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، (١١٥١)، مِنْ حَدِيثِ: سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي «**الْمُجْتَبَىٰ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: ذِكْرُ الِاخْتِلَافِ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ، فِي فَضْلِ الصَّائِمِ، (٢٢٣٠و ٢٢٣١)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السُّنَنِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصِّيَامِ، (١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ الثَّقَفِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
وَالْحَدِيث صَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ فِي «**صَحِيحِ التَّرْغِيبِ والتَّرْهِيبِ**»: (١/ ٥٧٨، رقم ٩٨٢).

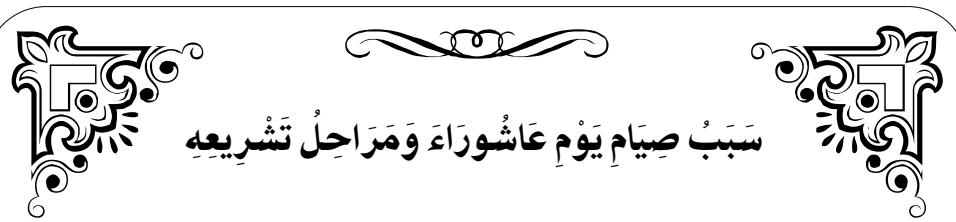

سَبَبُ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَمَرَاحِلُ تَشْرِيعِهِ

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» مِنْ طَرِيقِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا **قَالَتْ:** «كَانُوا يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، وَكَانَ يَوْمًا تُسْتَرُ فِيهِ الْكَعْبَةُ، فَلَمَّا فَرَضَ اللهُ رَمَضَانَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ شَاءَ أَنْ يَصُومَهُ فَلْيَصُمْهُ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتْرُكَهُ فَلْيَتْرُكْهُ**».

زَادَ فِي بَعْضِ الطُّرُقِ: «وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ»(١).

وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مُخْتَصَرًا بِلَفْظ: «**أَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ كَانَ يُصَامُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ؛ مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ**».

وَفِي لَفْظٍ لَهُ: قَالَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُ بِصِيَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُفْرَضَ رَمَضَانُ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ كَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ».

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدِ اللهِ قَالَ: أَخْبَرَنِي

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الحَجِّ: بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿**جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ**﴾، (١٥٩٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (١١٢٥).

نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا **قَالَ**: «كَانَ عَاشُورَاءُ يَصُومُهُ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا نَزَلَ رَمَضَانُ قَالَ: «**مَنْ شَاءَ صَامَهُ، وَمَنْ شَاءَ لَمْ يَصُمْهُ**»(١).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ طَرِيقِ أَبِي بِشْرٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ وَالْيَهُودُ تَصُومُ عَاشُورَاءَ، فَقَالُوا: «هَذَا يَوْمٌ ظَهَرَ فِيهِ مُوسَىٰ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: «**أَنْتُمْ أَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْهُمْ فَصُومُوا**».

وَفِي لَفْظٍ لَهُمَا: «**فَصَامَهُ مُوسَىٰ شُكْرًا لِلهِ**».

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ -وَأَصْلُهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ مُخْتَصَرًا-، فَقَالُوا: «هَذَا الْيَوْمُ الَّذِي أَظْهَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَىٰ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ فِرْعَوْنَ؛ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ»(٢).

وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٣) **مِنْ طَرِيقِ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَالَ**: «كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَعُدُّهُ الْيَهُودُ عِيدًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**فَصُومُوهُ أَنْتُمْ**».

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ: بَابُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، (٤٥٠١)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (١١٢٦).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ: بَابُ إِتْيَانِ اليَهُودِ النَّبِيَّ ﷺ، (٣٩٤٣)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (١١٣٠).

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصَّوْمِ: بَابُ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (٢٠٠٥)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الصِّيَامِ: بَابُ صَوْمِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، (١١٣١).

وَفِي لَفْظٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ: «كَانَ أَهْلُ خَيْبَرَ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، يَتَّخِذُونَهُ عِيدًا، وَيُلْبِسُونَ نِسَاءَهُمْ فِيهِ حُلِيَّهُمْ وَشَارَتَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَصُومُوهُ أَنْتُمْ**».

فَهَذَا سَبَبُ صَوْمِ عَاشُورَاءَ.

وَالْأَمْرُ بِصِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ، وَكَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ بِصِيَامِهِ لَمْ يَقَعْ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً؛ فَإِنَّهُ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ مِنَ السَّنَةِ الْأُولَىٰ؛ فَحِينَئِذٍ فَالْأَمْرُ بِهِ كَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَثْنَاءِ الْحَوْلِ فُرِضَ شَهْرُ رَمَضَانَ، وَغَزَا النَّبِيُّ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ ذَلِكَ الْعَامَ، أَوَّلَ شَهْرٍ فُرِضَ غَزَا غَزْوَةَ بَدْرٍ، وَكَانَتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنَ الشَّهْرِ، فَلَمَّا نَصَرَهُ اللهُ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ بَعْدَ الْفَتْحِ ثَلَاثًا، فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْعَشْرُ وَهُوَ فِي السَّفَرِ، فَرَجَعَ إِلَىٰ الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْعَشْرِ إِلَّا أَقَلُّهُ، فَلَمْ يَعْتَكِفْ ذَلِكَ الْعَشْرَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانَ فِي تَمَامِهِ مَشْغُولًا بِأَمْرِ الْأَسْرَىٰ وَالْفِدَاءِ.

فَعَلَىٰ هَذَا فَالْأَمْرُ كَانَ فِي سَنَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ نُسِخَ، وَفُوِّضَ الْأَمْرُ إِلَىٰ رَأْيِ الْمُتَطَوِّعِ.

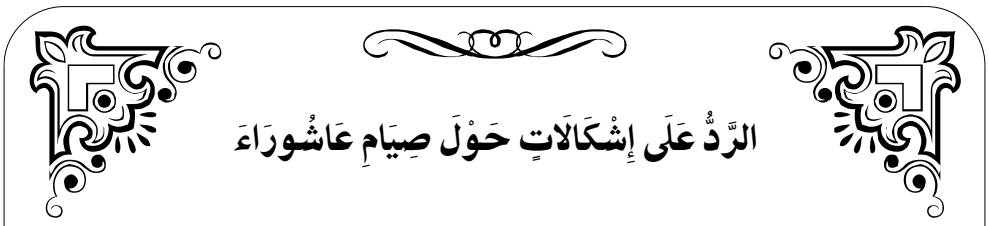

الرَّدُّ عَلَى إِشْكَالَاتٍ حَوْلَ صِيَامِ عَاشُورَاءَ

لَكِنْ كَيْفَ وَجَدَ الْيَهُودُ الصِّيَامَ وَقَدْ قَدِمَ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ؟

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الزَّادِ»(١): «قَدِ اسْتَشْكَلَ بَعْضُ النَّاسِ هَذَا؛ قَالُوا: إِنَّمَا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ؛ فَكَيْفَ يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَجَدَ الْيَهُودَ صِيَامًا يَوْمَ عَاشُورَاءَ؟».

ثُمَّ أَجَابَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنْ هَذَا الِاسْتِشْكَالِ فَقَالَ(٢): «أَمَّا الْإِشْكَالُ الْأَوَّلُ: وَهُوَ أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ فَلَيْسَ فِيهِ أَنَّ يَوْمَ قُدُومِهِ وَجَدَهُمْ يَصُومُونَهُ؛ فَإِنَّهُ إِنَّمَا قَدِمَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ثَانِيَ عَشَرَ؛ وَلَكِنَّ أَوَّلَ عِلْمِهِ بِذَلِكَ بِوُقُوعِ الْقِصَّةِ فِي الْعَامِ الثَّانِي الَّذِي كَانَ بَعْدَ قُدُومِهِ الْمَدِينَةَ، وَلَمْ يَكُنْ هُوَ بِمَكَّةَ، هَذَا إِنْ كَانَ حِسَابُ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي صَوْمِ عَاشُورَاءَ بِالْأَشْهُرِ الْهِلَالِيَّةِ.

وَإِنْ كَانَ بِالشَّمْسِيَّةِ زَالَ الْإِشْكَالُ بِالْكُلِّيَّةِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ الَّذِي نَجَّى اللهُ فِيهِ

---

(١) «**زَادُ الْمَعَادِ**»: (٢/ ٦٣).

(٢) «**زَادُ الْمَعَادِ**»: (٢/ ٦٦-٦٧).

مُوسَىٰ هُوَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ مِنْ أَوَّلِ الْمُحَرَّمِ، فَضَبَطَهُ أَهْلُ الْكِتَابِ بِالشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَقْدَمَ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ، وَصَوْمُ أَهْلِ الْكِتَابِ إِنَّمَا هُوَ بِحِسَابِ سَيْرِ الشَّمْسِ، وَصَوْمُ الْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا هُوَ بِالشَّهْرِ الْهِلَالِيِّ، وَكَذَلِكَ حَجُّهُمْ، وَجَمِيعُ مَا تُعْتَبَرُ لَهُ الْأَشْهُرُ مِنْ وَاجِبٍ أَوْ مُسْتَحَبٍّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**نَحْنُ أَوْلَىٰ وَأَحَقُّ بِمُوسَىٰ مِنْكُم**»، فَظَهَرَ حُكْمُ هَذِهِ الْأَوْلَوِيَّةِ فِي تَعْظِيمِ هَذَا الْيَوْمِ وَفِي تَعْيِينِهِ، وَهُمْ أَخْطَئُوا تَعْيِينَهُ لِدَوَرَانِهِ فِي السَّنَةِ الشَّمْسِيَّةِ، كَمَا أَخْطَأَ أَهْلُ الْكِتَابِ الثَّانِي فِي تَعْيِينِ صَوْمِهِمْ بِأَنْ جَعَلُوهُ فِي فَصْلٍ مِنَ السَّنَةِ تَخْتَلِفُ فِيهِ الْأَشْهُرُ.

وَمُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- صَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ شُكْرًا للهِ -تَعَالَىٰ- عَلَىٰ نَجَاتِهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَإِهْلَاكِهِ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ**﴾ [الدخان: ٣٠-٣١].

وَلَقَدْ نَجَّىٰ اللهُ أَنْبِيَاءَهُ، وَلَا نَعْلَمُ فِي أَيِّ يَوْمٍ كَانَتْ نَجَاتُهُمْ إِلَّا مُوسَىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، قَالَ -تَعَالَىٰ- فِي هُودٍ: ﴿**وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ**﴾ [هود: ٥٨].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي صَالِحٍ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿**فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ**﴾ [هود: ٦٦].

وَقَالَ -تَعَالَىٰ- فِي شُعَيْبٍ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَـٰرِهِمْ جَـٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾ [هود: ٩٤-٩٥]».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «فَإِنْ قِيلَ: مِنْ أَيْنَ لَكُمْ أَنَّ مُوسَىٰ صَامَهُ؟

قُلْنَا: ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا سَأَلَهُمْ عَنْهُ قَالُوا: «يَوْمٌ عَظِيمٌ نَجَّىٰ اللهُ فِيهِ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ، وَأَغْرَقَ فِيهِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ، فَصَامَهُ مُوسَىٰ شُكْرًا للهِ؛ فَنَحْنُ نَصُومُهُ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَنَحْنُ أَحَقُّ وَأَوْلَىٰ بِمُوسَىٰ مِنْكُم**». فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ(٢).

فَلَمَّا أَقَرَّهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَمْ يُكَذِّبْهُمْ؛ عُلِمَ أَنَّ مُوسَىٰ صَامَهُ شُكْرًا للهِ، فَانْضَمَّ هَذَا الْقَدْرُ إِلَىٰ التَّعْظِيمِ الَّذِي كَانَ لَهُ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَازْدَادَ تَأْكِيدًا حَتَّىٰ بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي فِي الْأَمْصَارِ بِصَوْمِهِ، وَإِمْسَاكِ مَنْ كَانَ أَكَلَ، وَالظَّاهِرُ: أَنَّهُ حَتَّمَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَوْجَبَهُ».

وَكَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَصُومُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ وَيُعَظِّمُونَهُ؛ حَتَّىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا يَسْتُرُونَ فِيهِ الْكَعْبَةَ.

---

(١) «**زَادُ الْمَعَادِ**»: (٢/ ٦٧).

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

وَهَلْ كَانَ صَوْمُهُ مُوَافَقَةً لِلْيَهُودِ، أَوْ مُخَالَفَةً لَهُمْ؟

أَثَارَ الْحَافِظُ ابْنُ الْقَطَّانِ رَحِمَهُ اللَّهُ هَذَا الْبَحْثَ فِي «جُزْئِهِ فِي فَضَائِلِ عَاشُورَاءَ»، وَعَلَّلَ ذَلِكَ: «بِأَنَّا نَرَاهُ يُحِبُّ مُوَافَقَتَهُمْ فِيمَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ فِيهِ شَيْءٍ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَنَرَاهُ -أَيْضًا- يُحِبُّ مُخَالَفَتَهُمْ فِي الْخِضَابِ، فَيَقُولُ لَنَا: «**إِنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ لَا يَصْبُغُونَ فَخَالِفُوهُمْ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ».

ثُمَّ قَالَ: «فَالْجَوَابُ: إِنَّهُ ﷺ قَصَدَ غَايَةَ الْمُخَالَفَةِ لَهُمْ، فَلَمْ يَتَّخِذْهُ عِيدًا كَمَا اتَّخَذُوهُ، بَلْ أَمَرَ بِصَوْمِهِ وَبَالَغَ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّىٰ شَرَعَ صَوْمَ يَوْمٍ قَبْلَهُ، وَلِأَنَّ مَضْمُونَ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُمُ اتَّخَذُوا عَاشُورَاءَ عِيدًا، وَأَنَّهُمْ صَامُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا يَصُومُونَ بَعْضَ أَعْيَادِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمُخَالَفَتِهِمْ فِي صَوْمِهِ بِصَوْمِ يَوْمٍ قَبْلَهُ، وَبَيَانُ هَذَا الَّذِي قُلْنَاهُ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ الْمُتَقَدِّمِ الَّذِي فِيهِ: فَقِيلَ لَهُ: «إِنَّ الْيَهُودَ يَصُومُونَهُ». فَقَالَ: «**إِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ -إِنْ شَاءَ اللهُ- صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»(٢)». انْتَهَىٰ كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

❀❀❀

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ: بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (٣٤٦٢)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ اللِّبَاسِ: بَابٌ فِي مُخَالَفَةِ الْيَهُودِ فِي الصَّبْغِ، (٢١٠٣)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ.

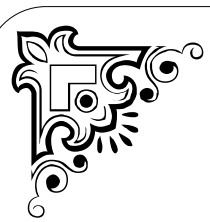
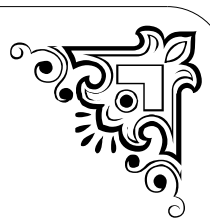

التَّحْذِيرُ مِنْ بِدَعٍ مُنْتَشِرَةٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ

تَعْظِيمُ يَوْمِ عَاشُورَاءَ يَكُونُ بِصِيَامِهِ لَا غَيْرَ، **قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ**(١): «وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ لِمَنْ صَامَهُ أَنْ يَصُومَ مَعَهُ التَّاسِعَ؛ لِأَنَّ هَذَا آخِرُ أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَمَّا سَائِرُ الْأُمُورِ: مِثْلُ اتِّخَاذِ طَعَامٍ خَارِجٍ عَنِ الْعَادَةِ؛ إمَّا حُبُوبٍ، وَإِمَّا غَيْرِ حُبُوبٍ، أَوْ فِي تَجْدِيدِ لِبَاسٍ، أَوْ تَوْسِيعِ نَفَقَةٍ، أَوِ اشْتِرَاءِ حَوَائِجِ الْعَامِ ذَلِكَ الْيَوْمَ، أَوْ فِعْلِ عِبَادَةٍ مُخْتَصَّةٍ؛ كَصَلَاةٍ مُخْتَصَّةٍ بِهِ، أَوْ قَصْدِ الذَّبْحِ، أَوِ ادِّخَارِ لُحُومِ الْأَضَاحِيِّ لِيَطْبُخَ بِهَا الْحُبُوبَ، أَوْ الِاكْتِحَالِ، أَوْ الِاخْتِضَابِ، أَوْ الِاغْتِسَالِ، أَوِ التَّصَافُحِ، أَوِ التَّزَاوُرِ، أَوْ زِيَارَةِ الْمَسَاجِدِ وَالْمَشَاهِدِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ فَهَذَا مِنَ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي لَمْ يَسُنَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَا خُلَفَاؤُهُ الرَّاشِدُونَ، وَلَا اسْتَحَبَّهَا أَحَدٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، لَا مَالِكٌ، وَلَا الثَّوْرِيُّ، وَلَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، وَلَا أَبُو حَنِيفَةَ، وَلَا الْأَوْزَاعِيُّ، وَلَا الشَّافِعِيُّ، وَلَا أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَلَا إسْحَاقُ بْنُ رَاهَوَيْهِ، وَلَا أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ؛ وَإِنْ كَانَ بَعْضُ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنْ أَتْبَاعِ الْأَئِمَّةِ قَدْ كَانُوا يَأْمُرُونَ بِبَعْضِ ذَلِكَ، وَيَرْوُونَ فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ وَآثَارًا، وَيَقُولُونَ: إنَّ بَعْضَ ذَلِكَ صَحِيحٌ؛ فَهُمْ مُخْطِئُونَ غَالِطُونَ بِلَا رَيْبٍ عِنْدَ أَهْلِ

(١) «مَجْمُوعُ الْفَتَاوَىٰ»: (٢٥/ ٣١٢-٣١٤).

الْمَعْرِفَةِ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ.

وَقَدْ قَالَ حَرْبٌ الْكِرْمَانِيُّ فِي «مَسَائِلِهِ»: سُئِلَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ: مَنْ وَسَّعَ عَلَىٰ أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؟ فَلَمْ يَرَهُ أَحْمَدُ شَيْئًا.

وَأَعْلَىٰ مَا عِنْدَهُمْ: أَثَرٌ يُرْوَىٰ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْتَشِرِ، عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَىٰ أَهْلِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِهِ!

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: جَرَّبْنَاهُ مُنْذُ سِتِّينَ عَامًا فَوَجَدْنَاهُ صَحِيحًا، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ، وَلَمْ يَذْكُرْ مِمَّنْ سَمِعَ هَذَا وَلَا عَمَّنْ بَلَغَهُ؛ فَلَعَلَّ الَّذِي قَالَ هَذَا مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ الَّذِينَ يُبْغِضُونَ عَلِيًّا وَأَصْحَابَهُ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقَابِلُوا الرَّافِضَةَ بِالْكَذِبِ مُقَابَلَةَ الْفَاسِدِ بِالْفَاسِدِ وَالْبِدْعَةِ بِالْبِدْعَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ عُيَيْنَةَ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ فَإِنَّ اللهَ ﷻ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ، وَلَيْسَ فِي إِنْعَامِ اللهِ بِذَلِكَ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ سَبَبَ ذَلِكَ كَانَ التَّوْسِيعَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَقَدْ وَسَّعَ اللهُ عَلَىٰ مَنْ هُمْ أَفْضَلُ الْخَلْقِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَلَمْ يَكُونُوا يَقْصِدُونَ أَنْ يُوَسِّعُوا عَلَىٰ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ عَاشُورَاءَ بِخُصُوصِهِ.

وَهَذَا كَمَا أَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَنْذِرُونَ نَذْرًا لِحَاجَةٍ يَطْلُبُهَا، فَيَقْضِي اللهُ حَاجَتَهُ، فَيَظُنُّ أَنَّ النَّذْرَ كَانَ السَّبَبَ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ» عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ «نَهَىٰ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهُ لَا يَأْتِي بِخَيْرٍ، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ**»[1].

---

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ القَدَرِ: بَابُ إِلْقَاءِ النَّذْرِ العَبْدَ إِلَىٰ القَدَرِ، (٦٦٠٨)، وَمُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ النَّذْرِ: بَابُ النَّهْيِ عَنِ النَّذْرِ وَأَنَّهُ لَا يَرُدُّ شَيْئًا، =

فَمَنْ ظَنَّ أَنَّ حَاجَتَهُ إِنَّمَا قُضِيَتْ بِالنَّذْرِ فَقَدْ كَذَبَ عَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَالنَّاسُ مَأْمُورُونَ بِطَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَاتِّبَاعِ دِينِهِ وَسَبِيلِهِ، وَاقْتِفَاءِ هُدَاهُ وَدَلِيلِهِ، وَعَلَيْهِمْ أَنْ يَشْكُرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا عَظُمَتْ بِهِ النِّعْمَةُ؛ حَيْثُ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ، وَيُزَكِّيهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**إِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(١).

وَقَدِ اتَّفَقَ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالتَّحْقِيقِ أَنَّ الرَّجُلَ لَوْ طَارَ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ مَشَىٰ عَلَىٰ الْمَاءِ؛ لَمْ يُتَّبَعْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِأَمْرِ اللهِ وَرَسُولِهِ».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْمَنَارِ الْمُنِيفِ»(٢) مُلَخِّصًا هَذِهِ الْمَسْأَلَةَ الْمُهِمَّةَ وَالْفَائِدَةَ الْكَبِيرَةَ: «أَحَادِيثُ الِاكْتِحَالِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، وَالتَّزَيُّنِ، وَالتَّوْسِعَةِ، وَالصَّلَاةِ فِيهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ فَضَائِلَ لَا يَصِحُّ مِنْهَا شَيْءٌ، وَلَا حَدِيثٌ وَاحِدٌ، وَلَا يَثْبُتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيهِ شَيْءٌ غَيْرُ أَحَادِيثِ صِيَامِهِ، وَمَا عَدَاهَا فَبَاطِلٌ، وَأَمْثَلُ مَا فِيهَا: «مَنْ وَسَّعَ عَلَىٰ عِيَالِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ؛ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ سَائِرَ سَنَتِهِ»، قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: «لَا يَصِحُّ هَذَا الْحَدِيثُ».

=

(١٦٣٩)، مِنْ حَدِيثِ: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «**الصَّحِيحِ**»: كِتَابُ الْجُمُعَةِ: بَابُ تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ وَالْخُطْبَةِ، (٨٦٧)، مِنْ حَدِيثِ: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

(٢) «**المنار المنيف في الصحيح والضعيف**»: (ص١١١-١١٢).

وَأَمَّا حَدِيثُ الِاكْتِحَالِ وَالِادِّهَانِ وَالتَّطَيُّبِ فَمِنْ وَضْعِ الْكَذَّابِينَ، وَقَابَلَهُمْ آخَرُونَ فَاتَّخَذُوهُ يَوْمَ تَأَلُّمٍ وَحُزْنٍ، وَالطَّائِفَتَانِ مُبْتَدِعَتَانِ خَارِجَتَانِ عَنِ السُّنَّةِ».

فَفِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ تَجِدُ فِرْقَتَيْنِ ضَالَّتَيْنِ؛ إِحْدَاهُمَا تُبْغِضُ آلَ الْبَيْتِ، فَتَأْخُذُ بِمَظَاهِرِ الزِّينَةِ وَالتَّطَيُّبِ وَالِاكْتِحَالِ وَالتَّوْسِعَةِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ؛ كَأَنَّهُمْ يَفْرَحُونَ بِمَا وَقَعَ عَلَىٰ آلِ الْبَيْتِ مِنْ مَقْتَلِ الْحُسَيْنِ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ بَعْضِ آلِهِ فِي كَرْبُلَاءَ، فَكَأَنَّمَا يُظْهِرُونَ ذَلِكَ شَمَاتَةً وَحِقْدًا عَلَىٰ آلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

وَقَابَلَتْهُمْ فِرْقَةٌ ضَالَّةٌ مُجْرِمَةٌ، وَهُمُ الرَّافِضَةُ؛ فَإِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ حُزْنٍ وَنَدْبٍ، وَيَأْتُونَ فِيهِ بِمَا يُضْحِكُ عَلَيْهِمُ الْأُمَمَ».. يُضْحِكُ عَلَيْهِمْ كُلَّ الْأُمَمِ بِمَا يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْأَفْعَالِ الْمُنْكَرَةِ وَالْأَفَاعِيلِ الْعَجِيبَةِ الَّتِي يَتَنَزَّهُ عَنْهَا كُلُّ عَاقِلٍ، كُلُّ إِنْسِيٍّ آتَاهُ اللهُ ذَرْوًا مِنَ الْعَقْلِ يَتَنَزَّهُ عَنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ؛ وَلَكِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ، وَيَنْظُرُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ إِلَىٰ أَعْمَالِهِمْ كَأَنَّهَا مِنْ دِينِ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَكَأَنَّمَا شَرَعَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَسَنَّهَا نَبِيُّهُ الْكَرِيمُ، وَالدِّينُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ بَرِيءٌ.

«وَأَهْلُ السُّنَّةِ يَفْعَلُونَ فِي عَاشُورَاءَ مَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الصَّوْمِ، وَيَجْتَنِبُونَ مَا أَمَرَ بِهِ الشَّيْطَانُ مِنَ الْبِدَعِ»[1].

❀❀❀

(١) «المنار المنيف»: (١١١-١١٢).

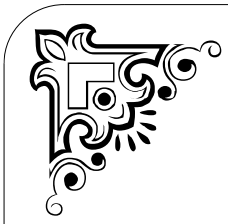

اتَّقُوا اللهَ فِي أَعْمَارِكُمْ!

اتَّقُوا اللهَ -مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ- فِي أَعْمَارِكُمْ، يَنْصَرِمُ عَامٌ وَيَدْخُلُ عَامٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ خَصْمٌ مِنْ عُمُرِ الْإِنْسَانِ، وَعُمُرُهُ مَحْدُودٌ، وَمَا دَامَ ابْتَدَىٰ فَإِنَّهُ إِلَىٰ النِّهَايَةِ يَسْعَىٰ حَثِيثًا، فَهُوَ وَشِيكٌ عَلَىٰ الِانْقِضَاءِ، وَمُنْتَهَاهُ فِي جَوْفِ الْقُبُورِ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ-.

فَاتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَلَا يَفْرَحَنَّ أَحَدٌ بِمُرُورِ يَوْمٍ، وَلَا عَامٍ، وَلَا أُسْبُوعٍ، وَلَا بِمُرُورِ ثَانِيَةٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ فِي عَافِيَةٍ وَطَاعَةٍ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ يَفْرَحُ بِمُضِيِّهَا فِي طَاعَةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

لَا تَفْرَحُوا بِانْقِضَاءِ الْأَعْوَامِ؛ فَإِنَّهَا خَصْمٌ مِنْ أَعْمَارِكُمْ حَتَّىٰ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ -نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ-.

اتَّقُوا اللهَ -عِبَادَ اللهِ-، وَخُذُوا بِالطَّاعَاتِ، وَهَذَا شَهْرٌ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الصِّيَامَ فِيهِ خَيْرَ صِيَامٍ فِي الْعَامِ إِلَّا مَا يَكُونُ مِنْ صِيَامِ الْفَرْضِ فِي رَمَضَانَ؛ فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الصِّيَامِ؛ وَلَكِنْ لَا يُصَامُ جَمِيعُهُ، وَإِنَّمَا يُصَامُ مِنْهُ وَيُتْرَكُ، «**وَخَيْرُ الصِّيَامِ صِيَامُ شَهْرِ اللهِ الْحَرَامِ الْمُحَرَّمِ**» الَّذِي هُوَ مَا أَظَلَّنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ، وَمَتَّعَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِإِدْرَاكِهِ؛ فُسْحَةً فِي أَعْمَارِنَا.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُبَارِكَ فِي أَعْمَارِنَا وَأَعْمَارِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تَكُونَ مُنْقَضِيَةً فِي طَاعَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَفِي نُصْرَةِ دِينِهِ، إِنَّهُ -تَعَالَىٰ- هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

وَلَا يَحْرِمَنَّ إِنْسَانٌ نَفْسَهُ مَعَ الْقُدْرَةِ مِنْ صِيَامِ تَاسُوعَاءَ وَصِيَامِ عَاشُورَاءَ، فَإِنْ ضَعُفَ فَلَا أَقَلَّ مِنْ عَاشُورَاءَ، وَلْيَأْمُرْ أَهْلَهُ وَمَنْ تَحْتَ وِلَايَتِهِ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عَنْ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ قَالَ: «**إِنَّهُ يُكَفِّرُ ذُنُوبَ سَنَةٍ مَضَتْ**»، وَلَا يَدْرِي إِنْسَانٌ إِذَا أَدْرَكَ عَاشُورَاءَ أَيُدْرِكُهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ أَوْ لَا يُدْرِكُهُ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمْرُ الْأَعْمَارِ مُغَيَّبٌ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ الَّذِي قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُحْسِنَ خِتَامَنَا أَجْمَعِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.(*).

❀❀❀

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَة: «عَامٌ شَهِيدٌ وَعَامٌ جَدِيدٌ» - الْجُمُعَةُ ١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٩هـ| ٢٢-٩-٢٠١٧م.

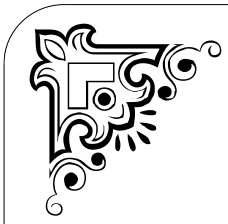

الفِهْرِسُ

الْمُقَدِّمَةُ ٣

الْأَمَلُ وَأَسْرَارُهُ اللَّطِيفَةُ ٤

الْأَمَلُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ٦

الْأَمَلُ وَالتَّفَاؤُلُ فِي السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ ١٢

مِنَ الْأَمَلِ: حُسْنُ الظَّنِّ بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ٢٣

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْمِحَنِ ٢٦

الْأَمَلُ فِي الْفَرَجِ مَعَ اشْتِدَادِ الْكَرْبِ ٣٣

بَدْءُ التَّأْرِيخِ الْهِجْرِيِّ ٣٤

عَامٌ شَهِيدٌ وَعَامٌ جَدِيدٌ! ٣٧

فَلَا تَظْلِمُوا فِي الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ أَنْفُسَكُمْ ٤٦

فَضَائِلُ شَهْرِ اللهِ الْمُحَرَّمِ وَصِيَامِهِ ٤٨

نَجَاةُ وَنَصْرُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَوْمِهِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ٥٠

أَفْضَلُ شُهُورِ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ الْمُحَرَّمُ..... ٥٢
دَلَالَةُ إِضَافَةِ شَهْرِ الْمُحَرَّمِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ..... ٥٥
مِنْ فَضَائِلِ الصِّيَامِ..... ٥٧
سَبَبُ صِيَامِ يَوْمِ عَاشُورَاءَ وَمَرَاحِلُ تَشْرِيعِهِ..... ٥٨
الرَّدُّ عَلَىٰ إِشْكَالَاتٍ حَوْلَ صِيَامِ عَاشُورَاءَ..... ٦١
التَّحْذِيرُ مِنْ بِدَعٍ مُنْتَشِرَةٍ يَوْمَ عَاشُورَاءَ..... ٦٥
اتَّقُوا اللهَ فِي أَعْمَارِكُمْ!..... ٦٩
الْفِهْرِسُ..... ٧١